أوردريك فيتاليس
مؤرخاً لحملة سنة ١١٠١م الصليبية

إعداد
دكتور
حسين محمد عطية
أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى
كلية الآداب - جامعة طنطا

٢٠٠١

أوردريك فيتاليس مؤرخا لحملة سنة ١١٠١م الصليبية

باستيلاء الصليبيين على مدينة بيت المقدس (١٥ يوليو ١٠٩٩م) تكون الحملة الصليبية الأولى قد حققت هدفها الذى حددته لها البابوية . وبانتصار الصليبيين على الجيش الفاطمى فى موقعة عسقلان (١٢ أغسطس ١٠٩٩م) يكون الفرنج قد تخلصوا من التهديد الفورى ضد إنجازاتهم العسكرية . وبذلك تنتهى أعمال الحملة الصليبية الأولى [١] . وقد ارتبطت بالحملة الصليبية الأولى حملة أخرى ، اعتبرها بعض المؤرخين المعاصرين حملة صليبية ثانية ، ودرج المؤرخون الحديثون على تسميتها بحملة عام ١١٠١م[٢]. وقد قامت الحملة الأخيرة بفضل الجهود المتوالية للبابا أوربان الثانى (١٠٨٨ – ١٠٩٩م) وخلفه البابا باسكال الثانى (١٠٩٩ – ١١١٨م) لتجنيد فرقاً جديدة من الصليبيين لدعم جيش الحملة الأولى ، وللمساعدة فى الدفاع عن الركائز الصليبية التى تم تأسيسها فى الشرق اقتداء بنجاح الحملة الأولى وتكراره[٣]. واحتشدت الجيوش الصليبية من شمال فرنسا ، وبرجنديا ، وأكوتين وكونتية نيفر ، وألمانيا ، ولمبارديا ، إلا أن هذه الحملة لم تحقق شيئاً من هذه الأهداف ، وكانت محصلتها النهائية هى الفشل التام ، كما كانت محل نقد لاذع من قبل المؤرخين المعاصرين ، ولم تحظ إلا باهتمام ضئيل من قبل مؤرخى الحروب الصليبية الحديثين . وربما كان مرجع ذلك – إلى جانب الفشل – هو عدم تحقيقها إنجازاً كبيراً ضد المسلمين فى الشرق ، كل هذا جعلها تتوارى فى صفحات التاريخ أمام الحملة الصليبية الأولى بنجاحها العسكرى ، هذا إلى جانب الغموض الذى اكتنف جوانب من تاريخ حملة ١١٠١م حتى بالنسبة للمؤرخين المعاصرين لقلة المعلومات التاريخية التى دونت عنها . فلم يعالج تاريخها سوى عدد قليل من المؤرخين المعاصرين لم يكن من بينهم من شاهدى العيان سوى مؤرخ واحد فقط هو إيكهارد Ekhard of Aura[٤]. إلا أن ما كتبه عنها جاء مخيباً للآمال . ففور وصوله إلى القسطنطينية ، استقل سفينة إلى الأراضى المقدسة ، ومن هنا وحتى نهاية الحملة ، لم يكن لديه إلا النذر اليسير من المعلومات

التى يخبرنا بها عنها [٥]. لذلك فإن كل من كتب عن حملة ١١٠١م من المؤرخين اللاتين المعاصرين لم يشاهد ما كتب عنه من أحداث ، وإنما جمع معلوماته عنها من الروايات الشفهية التى سردها من نجح فى العودة إلى غرب أوربا أو إلى بلاد الشام من المشاركين فى الحملة فلم يكتب جيبرت Guibert of Nogent أوفولشر الشارترى أو رادولف كان أو وليم الصورى عن هذه الحملة سوى شذرات ، كتمهيد للحديث عن مساهمة من وصل من فلول الحملة إلى الشام فى حملة الرملة الثانية عام ١١٠٢م وهزيمة الفرنج فيها[٦]. أما عن الحوليات التى دونت فى أوربا فلم تمدنا إلا بمعلومات عن بعض القادة الصليبين المشاركين فى الحملة ، وتكاد تكون معدومة القيمة فيما يخص أحداث الحملة نفسها . أما عن المؤرخين غير اللاتين فليس هناك سوى ما سجلته الأميرة آن كومنين من انطباع بسيط عن الحملة حاولت فيه كعادتها أن تنتصر لأبيها الإمبراطور ألكسيس الأول كومنين (١٠٨١م – ١١١٨م) فى مواجهة النقد الذى وجهه إليه المؤرخون اللاتين فيما يخص موقفه من الحملة [٧]. وجاءت روايات كل من المؤرخ الأرمينى متى الرهاوى ، والمؤرخ السوريانى المجهول ، وابن الأثير كإشارة عابرة لم تمدنا إلا بحقائق بسيطة لا تشفى غليل الباحث[٨].

ولم تتوفر لنا المعلومات التاريخية عن حملة ١١٠١م إلا من خلال ما كتبه اثنان من المؤرخين اللاتين المعاصرين ، وهما ألبرت دكس Albert d'Aix[٩]. وأورديك فيتاليس Orderic Vitalis [١٠]. أما عن الأول فقد كانت روايته هى الأطول من بين كل الروايات التى عالجت تاريخ الحملة ، وكرس لها فصلاً كاملاً من كتابه[١١].وقد نال حظه من الدراسة والتقييم فى أعمال كثيرة فيما يخص ما كُتب عن الحروب الصليبية[١٢]. ولا يتبقى أمامنا ممن كتبوا عن هذه الحملة سوى أودريك فيتاليس ، الذى كرس – مثل ألبرت دكس – فصلا من الكتاب العاشر من عمله الكبير لتدوين تاريخ الحملة[١٣]. يأتى من حيث الحجم فى المرتبة الثانية بعدما سجله عنها ألبرت دكس . ومع ذلك لم يحظ فيتاليس من المؤرخين الحديثين بنفس الاهتمام الذى

حظى به ألبرت دكس ، رغم أن كتابه ككل يعتبر من أهم مصادر تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، وتاريخ الحروب الصليبية ، لما أضافه من معلومات تاريخية لم ترد عند غيره من المؤرخين اللاتين ، وكان لها تأثير بالغ على عملية التدوين التاريخى للحركة الصليبية نابع أساساً من موقفه المحايد بين اللاتين والبيزنطيين ، وبين اللاتين وبعضهم البعض ، الأمر الذى ساعد كثيراً فى حسم كثير من القضايا التى أثارتها العلاقات بين هذه الأطراف [١٤].وهذا البحث هو محاولة لتقييم ما سجله فيتاليس من معلومات عن حملة ١١٠١م ، من خلال تحليل هذه المعلومات ، ومقارنتها بما سجله غيره من المؤرخين ،وخاصة ألبرت دكس.

ومثل كل من كتب عن حملة ١١٠١م من المؤرخين اللاتين ، فقد انحسر مصدر معلومات فيتاليس عنها فى الروايات الشفهية التى نقلها من عاد إلى أوربا ممن شاركوا فى هذا الحملة ، وذلك فيما يخص أحداثها منذ رحيلها من أوربا وحتى نهايتها . ولما كان عدد هؤلاء قليلاً جداً ، فقد كان حجم المعلومات التى حصل عليها المؤرخ قليلاً . ولما كان فيتاليس يعالج فى الأصل تاريخ أوربا من خلال تاريخ الكنيسة ، فإن اهتمامه لم يتركز على تسجيل التفاصيل الدقيقة للأحداث بقدر ما كان ينصب على نتائجها ، هذا إلى جانب أنه كان يتبع أسلوباً مركزاً فى سرد الأحداث دون إسهاب ، فاتسمت روايته بالموضوعية . وبعد عن الشكل الملحمى والأسطورى الذى نلمسه فى روايات ألبرت دكس. وكل هذه العوامل كان لها تأثير على كتابة فيتاليس . وجعل روايته تأتى فى المرتبة الثانية بعد رواية ألبرت دكس ، رغم أنه يخلص إلى نفس النتائج تقريباً وإن تميز فيتاليس باهتمامه بالشخصيات التى يروى عنها وبالدوافع التى تحركها[١٥].

ففى البداية ، وبينما ركز المؤرخون المعاصرون على صدى سقوط بيت المقدس فى أيدى صليبى الحملة الأولى ، وما أحدثه من تأثير فى إثارة الحماسة الصليبية فى نفوس اللاتين ، كدافع للمشاركة فى حملة ١١٠١م الصليبية [١٦].فقد قدم لنا فيتاليس دوافع أخرى أكثر أهمية ارتبطت بالواقع السياسى والاجتماعى للمجتمع الأوربى

الغربى ، وأولها كان قرار الحرمان الذى أصدره البابا باسكال[١٧] ضد كل من فشل فى الإيفاء بنذره الصليبى ممن شاركوا فى الحملة الصليبية الأولى "فقد أضطر ا كثيرون إلى الخروج للحج خوفاً من قرار الحرمان البابوى . فقد أعلن البابا باسكال الحرمان والقطع من الكنيسة لكل من حملوا صليب الرب ، وعادوا دون أن يكملوا رحلتهم ، إلا إذا خرجوا مرة أخرى وسددوا دينهم للرب بالإيفاء بنذورهم"[١٨]. وهذا الفريق كان يضم كل المتقاعدين الذين لم يغادروا أوربا من قبل إلى الشرق ، والصليبيين ضعاف القلوب الذين تخلوا عن الحملة الأولى فى إيطاليا أو فى أى مكان آخر ، وهى فى الطريق إلى الشرق ، وأكثرهم مقتاً كان أولئك الذين تخلوا عن الحملة أثناء حصار الفرنج الأنطاكية فى عام ١٠٩٨م، وكان على رأسهم ستيفن كونت بلوا وهيوفيرماندوا [١٩]. كما يضيف لنا فيتاليس دافعا آخر يخص طبقة الفرسان اللاتين ، وهو أنهم وجدوا فى المشاركة فى حملة ١١٠١ فرصه لاستعراض شجاعتهم والتعبير عن مواهبهم الحربية بممارسة فنون القتال " وإثبات شجاعتهم وفروسيتهم فى مواجهة الأتراك[٢٠].

وبعد أن حدد لنا فيتاليس بدقة تميز بها عن غيره من المؤرخين المعاصرين دوافع جموع الصليبين للمشاركة فى حملة ١١٠١م ، نجده يروى لنا تاريخ هذه الحملة منذ وصولها إلى بيزنطة ، وتعامل الفرنج مع الإمبراطور ألكسيوس كومنين ، ثم أعمال الحملة فى آسيا الصغرى بشكل إجمالى ، وكأن كل الجيوش الصليبية قد تحولت معاً كجيش واحد ليخوضوا معاً فى علاقاتهم مع الإمبراطور البيزنطى ، وليخوضوا معاً أيضا نفس المعارك ضد سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى ، وكأنها معركة واحدة فاصلة ، ومن الملاحظ أن فيتاليس لم يكن وحده الذى نهج هذا المنهج فى معالجته لأحداث تلك الحلمة ، وإنما شاركه نفس المنهج كل من فولشر الشارترى وجيبرت التوجنتى وآن كومنين ومتى الرهاوى وابن الأثير [١٢].الأمر الذى يجعل رواية ألبرت دكس تتميز عن هذه الروايات ، وتأتى فى مقدمتها من حيث الدقة فى سرد أحداث الحملة ، وتتمتع بثقة المؤرخين الحديثين الذين أخذوا بتفاصيلها فى المقام الأول.

فمن المعروف أن جيوش حملة ١١٠١م الصليبية قد خرجت من أوربا دون تخطيط من البابوية ، وقد اختلف الأمر عما حدث أيام البابا أوربا الثانى فى عام ١٠٩٦م فلم يعين البابا باسكال الثانى قائداً عسكرياً للحملة ، ولم يكن له مندوب بايوى يحاول لم شمل الفرنج كلما تطلب الأمر وهو الدور الذى لعبه أدهيمار فى الحملة الصليبية الأولى [٢٢]. وربما خطط قادة حملة ١١٠١م أن يسيروا على هدى ما فعل أسلافهم فى الحملة الأولى . ونستشف ذلك من عبارة فيتاليس فى مقدمة روايته عن الحملة فقد رغب الصليبيون " فى أن يحذوا حذوهم، بالقيام بعمل مماثل[٢٣]. ومن هنا توقع الجميع أن يتقابلوا فى القسطنطينية قبل بداية الرحلة داخل آسيا الصغرى . كما أن ذلك لم يحدث ، واختلفت مواعيد وصول كل جيش إلى القسطنطينية . لذلك اندمجت جيوش حملة ١١٠١م الستة فى ثلاثة جيوش . الأول منها ضم اللمبارديين بقيادة البرت دوق بياندرات Albert of Biandrate وصليبى شمال فرنسا بقيادة ستيفن كونت بلوا وشاتر ، ومن برجنديا بقيادة الكونت ستيفن ، وسرية من الألمان بقيادة كونراد كند سطبل الإمبراطور هنرى الرابع أما الجيش الثانى فقد كان صغيراً ، وضم الصليبيين الذين جاءوا من شرق فرنسا بقيادة وليم الثانى كونت نيفر Nevers بينما ضم الجيش الأخير ، وهو جيش كبير ، صليبيين من الفرنسيين بقيادة وليم التاسع دوق أكوتين وبواتييه ، ومن الألمان بقيادة ولف الرابع دوق بافاريا[٢٤]. وهنا نجد فيتاليس يركز على القيادات البارزة فقط من الفرنج ، على عكس ألبرت دكس الذى ذكر عدداً غير قليل من أتباعهم بينما أمدتنا الحوليات الأوربية المحلية ببقية الأسماء[٢٥]. ومع ذلك ، ورغم أن فيتاليس قد أغفل الحديث تماماً عن حملة وليم كونت نيفر وهو من نبلاء فرنسا – دون أن نقف على سبب لذلك – إلا أن روايته عن القادة الصليبيين الفرنسيين كانت أشمل رواية ، وأمدنا فيها بأسماء القادة وأتباعهم[٢٦]. كما أمدنا بمعلومات لم ترد عند غيره من المؤرخين – خاصة ألبرت دكس – فيما يخص القيادات الفرنسية فى الحملة . فقد انفرد بذكر الدافع من وراء اشتراك ستيفن كونت

بلوا فى الحملة ، وهو الذى كان قد هرب أثناء حصار صليبى الحملة الأولى لأنطاكية[٢٧]. فيخبرنا فيتاليس بأن هروب ستيفن المشين من أمام أنطاكية قد جعله "هدفا لاحتقار الجميع تقريبا ، فكان يتلقى توبيخا مستمرا لفراره المشين من حصار أنطاكية وتخليه عن رفاقه الأمجاد. كما كان كثير من الناس يقرعونه بصورة مستمرة ، واضطر إلى الخروج فى حملة صليبية أخرى خجلا وخوفا . كما كانت زوجته أديلا Adela تحثه كثيرا على ذلك ، وكانت تقول له أثناء الملاطفات الزوجية . لا يليق بك يا سيدى أن تحط من شأنك بتحمل احتقار مثل هؤلاء الناس لوقت طويل ، تذكر الشجاعة التى اشتهرت بها فى شبابك ، وأحمل أسلحة الصليبية المجيدة "[٢٨]. كما انفرد فتياليس بذكر روايته عن استعدادات أودو آريين فيكونت بورجية Bourges ليخرج فى حملة ستيفن كونت بلوا ، فقد باع أودو فيكونتيته لفيليب الأول ملك فرنسا. كما انفرد فيتاليس بذكر اسم جوسلين كوريتناى الذى صاحب أودو فى رحلته إلى الشرق[٢٩].

أما عن أحداث الحملة فى بيزنطه . فمن المعروف أن الجيوش الصليبية الثلاثة لم تلتق معاً فى القسطنطينية ، وإن كانت قد مرت بنفس الظروف والملابسات تقريبا حتى نهاية الحملة ، وما حدث فقد سجلته المصادر المعاصرة والمراجع الحديثة، وسنشير هنا فقط إلى الأحداث التى تساعد على تحليل وتقييم رواية فيتاليس بالنسبة لغيرها من الروايات . فقد وصلت جميع الجيوش إلى القسطنطينية تباعاً ، وأحسن الإمبراطور ألكسيس استقبال القادة الصليبيين وحاول تنفيذ سياسته التى اتبعها مع قادة الحملة الصليبية الأولى . فحصل من القادة الفرنج على يمين الولاء . ولم تشر المصادر إلى أى خلاف حول هذه النقطة إلا حين رفض وليم التاسع دوق أكوتين أداء اليمين دون حدوث أية مشاكل[٣٠]. كما اتبع ألكسيس مع الفرنج سياسته فى حماية أراضيه من الفوضى التى يسببها اندفاع وتهور جموع الصليبيين بالتصدى لهم إذا ما حادوا عن الطريق القويم وبدأوا بأعمال العنف والسلب والنهب كما حدث مع الجيش

اللمباردى . فقطع عنهم المؤن لرفضهم عبور البسفور الى آسيا الصغرى ، ولما هاجموا العاصمة البيزنطية تصدت لهم القوات البيزنطية [٣١].وكما حدث أيضا مع جيش بواتييه وبافاريا ، حين وصل الفرنج إلى أدرنه ، ولم يتمكنوا من دخولها لإغلاق البيزنطيين الجسر المؤدى إلى المدينة ، فتصدت لهم القوات البيزنطية،وجرت معركة بين الطرفين، ولم ينته القتال إلا بتعهد وليم التاسع وولف البافارى باتباع قواتهم السلوك الحسن وسمح للفرنج بدخول أدرنه وشراء ما يحتاجونه من أسواقها حتى عبروا البسفور فى يوليو ١١٠١م[٣٢].

وحتى هذه اللحظة ، وهى لحظة عبور فرق الفرنج بالتوالى للبسفور فإن فيتاليس يسرد لنا الأحداث جملة واحدة ، ويجعل كل الفرق البيزنطية تتواجد فى القسطنطينية ، كما يجعل كل القيادات الصليبية تشارك فى الأحداث ، وفى اتخاذ القرارات التى كان أغلبها- كما روى ألبرت دكس – يتعلق بالجيش اللمباردى الفرنسى الذى كان أول الجيوش التى تصل إلى القسطنطينية ، وتعبر البسفور إلى آسيا الصغرى . فمن المعروف أنه بعد أن هدأت الأمور بين الإمبراطور ألكسيس والمباردين، عبرت هذه القوات البسفور فى إبريل ١١٠١م إلى آسيا الصغرى ، حيث عسكرت بالقرب من نيقوميديا بانتظار وصول قوات تأتى من الغرب[٣٣]. ثم لحقت بهم ، الفرقة الألمانية بقيادة الكند سطبل كونراد ، ثم وصلت الى القسطنطينية قوات شمال فرنسا وبرجنديا فى مايو ١١٠١م[٣٤]. وهنا نجد ريموند كونت تولوز يصاحب الفرنج فى رحلتهم إلى الأراضى المقدسة . واختلفت الروايات الحديثة حول سبب ذلك . فيذهب رنسيمان إلى أن مصاحبة الكونت للصليبيين جاءت بناء على اقتراح الإمبراطور البيزنطى[٣٥]. بينما يذهب لى كات إلى أن ذلك قد تم استجابة لطلب الصليبيين ذلك[٣٦].وربما يرجع هذا الاختلاف لأن مصدر معلوماتهما – وهو ألبرت دكس – لم يوضح حقيقة ما حدث . وما يهمنا هنا هو رواية فيتاليس التى جاءت غريبة إلى حد ما. فبالرغم من أنها تؤيد رواية لى كات ، إلا أنه يحدد بغرابة شديدة صاحب الاقتراح

من بين الصليبيين وهو وليم التاسع دوق بوايتيه. فيروى لنا فيتاليس أنه " بعد أن تشاور قادة الفرنج فيما بينهم حول المرحلة التالية من رحلتهم ، واتخذوا الاحتياطات لتجنب مخاطر الطريق[٣٧]. وأخيرا ، وبعد أن عبر مختلف الأفراد عن آرائهم باستفاضة قال دوق بواتييه : لنرسل رسلا إلى الإمبراطور ونطلب منه بصوت واحد أن يرسل كونت سان جيل برمح المخلص[٣٨].لكى يقودنا بأمان فى البلاد الغريبة إلى قبر المسيح ، فهو رجل حكيم يحظى باحترام كبير ، وكان من أبرز القادة فى الحملة الأولى، وقد اعتاد بحكم تجربته الطويلة على الأخطار والطرق التى لا نعرف عنها شيئا . كما أنه اشتهر بين المسيحيين والمسلمين بالشجاعة التى كثيرا ما أبداها ، فلو أننا اتخذنا هذا الرجل كفرجيل Virgil[٣٩]. دليلا لنا ومستشارا كان معنا ضمانا من الإمبراطور ، وحماية من المسلمين "[٤٠].

ويستمر فيتاليس فى سرد ما حدث بأن رسل الفرنج عرضوا هذا المطلب على الإمبراطور الذى عرضه بدوره على كونت تولوز الذى رجا الإمبراطور أن يعفيه من هذه المهمة لكبر سنه ، وللمجهود الذى بذله فى سبيل استيلاء الفرنج على بيت المقدس من قبل . وأخبر ألكسيس الفرنج برأى الكونت الذى لا يستطيع الإمبراطور أن يجبره على القيام بذلك وهو الذى لجأ إليه ليعيش بقية حياته فى سلام[٤١].فانزعج الصليبيون من هذا الرد ، وتحت تأثير وليم التاسع ، ودون موافقة كونت بلوا ومن معه من القادة المعتدلين من الفرنج ، راح الصليبيون وعلى رأسهم أتباع وليم – يهاجمون العاصمة البيزنطية ، وفوجئ الإمبراطور – الذى كان مطمئنا لحصانة عاصمته ذات الأسوار الثلاثة إلى فشل الصليبيين فى اقتحام مدينته – فوجئ بأنهم قد نجحوا فى اقتحام السور الخارجى ، فدفع إليهم "بثلاثة أسود مفترسة وسبعة نمور بين السور الخارجى والسور الأوسط ، كما وضع حراسا فوق السور الثالث الذى كان فى مواجهة قصور النبلاء ، وأمر بسد بواباته [٤٢]. ولكن الصليبيين تمكنوا بعد مصرع بعضهم بين أنياب الحيوانات المفترسة ، من قتل الأسود ، فهرعت النمور هاربة من فوق السور

الأوسط . واقتحم الفرنج إحدى بوابات السور متجهين إلى السور الداخلى ، وجزع سكان المدينة ، كما جزع الإمبراطور ، فبعث برسله إلى قادة الفرنج لتهدئتهم . وعاد الفرنج إلى معسكرهم خارج العاصمة . وتوجه الإمبراطور إلى كونت تولوز راجياً إياه أن يصاحب الفرنج فى حملتهم ، فوافق الأخير على مضض متوعداً الفرنج بالانتقام منهم بالتشاور مع الإمبراطور . وطلب ألكسيس من الفرنج عبور البسفور إلى نيقوميديا انتظاراً لوصول كونت تولوز مع فرقة من التركبولية يبلغ عددها عشرين ألف رجل[٤٣].

وإذا سلمنا بأن براوية ألبرت دكس هى الرواية الأكثر دقة ، فإن رواية فيتاليس الغريبة تحتاج إلى تحليل للوقوف على سبب ذلك ، خاصة إذا ما وضعنا فى الاعتبار أن فيتاليس ، مثله فى ذلك مثل ألبرت دكس ، كأن معاصراً للأحداث ، وأن مصدر معلوماته هو نفس مصدر معلومات ألبرت دكس ، وهو الروايات الشفهية التى نقلها إليه من عاد من فرنج الحملة إلى أوربا . وأول ما يسترعى الانتباه هو أن فيتاليس يجعل سبب الخلاف بين الصليبيين والبيزنطيين هو رفض طلب الفرنج بمصاحبة كونت تولوز لهم أثناء الرحلة عبر آسيا الصغرى ، وليس منعهم من شراء احتياجاتهم من أسواق القسطنطينية كما حدث مع اللمبارديين، أو منعهم من دخول أدرنه، كما حدث مع جيش أكوتين وبافاريا . ولما كان وصول اللمبارديين إلى القسطنطينية يسبق وصول جيش أكوتين وبافاريا إلى أدرنه بحوالى شهرين ، فبذلك يكون فيتاليس قد خلط بين الحدثين فيما يخص عنصرى الزمان والمكان.

ونلاحظ أيضا أن فيتاليس يجعل طلب الفرنج بأن يصحبهم كونت تولوز باقتراح من وليم دوق بواتييه الذى جعله يذكر شجاعة وحكمة وخبرة الكونت ، ويرغب فى أن يضع نفسه وقواته تحت قيادته حتى الأراضى المقدسة ، فى الوقت الذى كان وليم التاسع خصما لدودا لكونت تولوز ، والعداء بينهما لم ينته بعد، ويرجع إلى سنوات عديدة مضت [٤٤] . وإذا لم يكن العذر فى هذا الخلط الذى يشوب رواية فيتاليس هو عدم دقة الروايات التى سمعها من فرنج الحملة أنفسهم ، فربما يرجع ذلك إلى

حرصه على أن يبرز دور وليم التاسع فى الحملة الصليبية ، تقديرا منه كمؤرخ لوليم كشاعر وليس كقائد عسكرى[٤٥].

أما بقية رواية فيتاليس عن حملة ١١٠١م الصليبية ، فهى تتناول أحداث الحملة فى آسيا الصغرى حتى تشتت الجيوش الصليبية بعد اندحارها على أيدى السلاجقة . ومن الطبيعى أن يضم فيتاليس هنا أيضا كل الجيوش الصليبية معا لتشارك كجيش واحد فى حدث واحد . إلا أن روايته فى هذا الصدد – مقارنة براوية ألبرت دكس – تقدم لنا عدة حقائق لا يمكن إغفالها عند النظر إليه كمؤرخ لهذه الحملة . ولتحليل هذه الرواية والوقوف على هذه الحقائق ، من الأجدى فى البداية عرض الرواية التى أخذ بها المؤرخون الحديثون – وهى رواية ألبرت دكس – فى نقاطها الرئيسية . ومن هذه الرواية الأخيرة نعرف أن القوات الصليبية كان من المفروض، حسب نصيحة الإمبراطور ألكسيس، أن تسلك الطريق الذى سلكته جيوش الحملة الصليبية الأولى الذى يجتاز آسيا الصغرى مرورا بنيقية ودور يليوم وقونيه وهرقلية حتى قيليقية ، ثم يعبر جبال طوروس إلى شمال الشام[٤٦]. إلا أن اللمبارديين قد أصروا على الاتجاه شرقا لإنقاذ بوهيمند النور ماندى أمير أنطاكية ، الذى كان يقبع أسيرا فى قلعة نيكسار من أملاك الملك غازى بن الدانشمند ، أو على الأقل بالاستيلاء على هذا الإقليم ، وتغلب رأى اللمبارديين الذين تمثل قواتهم غالبية الجيش الصليبى[٤٧].

وبعد الخروج من نيقوميديا وصل الفرنج إلى مدينة أنقرة ، واستولوا عليها وسلموها للبيزنطيين وذلك بعد مسيرة ثلاثة أسابيع (فى ٢٣ يونيو ١١٠١م) ثم اتجهوا إلى الشمال الشرقى حيث وصولوا إلى مدينة جنجرة Gangara التى أدركوا قوة استخدامها ، فاكتفوا بحرق محاصيل الحقول المحيطة بها (أول يوليو ١١٠١م) خاصة أن التعب كان قد أدركهم ونال منهم الجوع بعد أن خرب السلاجقة الأراضى والحقول وتحرك الفرنج متجهين شمالا إلى قسطمونى بناء على نصيحة كونت تولوز . وقام السلاجقة بالإغارة عليهم من حين إلى آخر ، وكانت الرحلة إلى قسطمونى شاقة

فقرر اللمبارديون أن تتجه الحملة شرقا إلى بلاد الدانشمند دون الأخذ برأى كونت تولوز بالتقدم شمالا حتى ساحل البحر الأسود حيث تقع المدن البيزنطية ، وسارت الحملة، واجتاز الفرنج نهرهاليس، وصادفوا قرية مسيحية بين النهر ومدينة أماسية، فاحتاجوها بفظاظة ونهبوها، وقتلوا أهلها، ثم اتجهوا إلى مدينة مرسيفان التى تقع فى منتصف المسافة بين النهر وأماسية ، حيث وقع الكند سطبل كونراد فى كمين نصبه له السلاجقة ، وفقد بضع مئات من قواته ، وأعد كونت تولوز الجيش الصليبى لخوض معركة فاصلة[٤٨].

واستمرت المعركة لمدة خمسة أيام من بدايات أغسطس ١١٠١م ، حيث بدأ السلاجقة فى محاصرة معسكر الفرنج ورشقهم بالسهام ، وفى اليوم التالى تمكنت فرقة بقيادة كونراد الألمانى من الاستيلاء على إحدى القلاع السلجوقية وعلى ما بها من إمدادات ، إلا أنها فقدت كل ذلك أثناء عودتها إلى المعسكر حين هاجمها السلاجقة . وفى اليوم الثالث كف الطرفان عن القتال ، وفى اليوم الرابع اصطف الفرنج فى خمسة صفوف للقتال ،وكان اللمبارديون فى المقدمة ، إلا أنهم تقهقروا بعد أول هجوم سلجوقى ، وتبعهم بقية الفرنج ،وانقض السلاجقة وحلفاؤهم على الفرنج ،فهرب القادة وبعض الفرسان ، وتركوا غير المحاربين من النساء والأطفال ، فريسة لسيوف السلاجقة ، ولم ينج من هؤلاء ، إلا من وقع أسيرا من الرجال والنساء[٤٩].

هذه هى رواية ألبرت دكس عن معركة مرسيفان التى اندحرت فيها القوات اللمبارديه الفرنسية . إلا أن فيتاليس قد جعلها معركة شاركت فيها كل جيوش حملة سنة ١١٠١م الصليبية . ونلاحظ أن فيتاليس لم يكن وحده الذى اتبع ذلك النهج وإنما شاركته فى ذلك آن كومنين التى سردت رواية قصيرة جدا لم تذكر فيها من قادة الفرنج سوى كونت بياندرات الذى أطلقت على قواته من اللمبارديين اسم النورمان ، إلى جانب كونت تولوز . إلا أن الطريق الذى رسمته كخط سير للحملة يتفق مع رواية ألبرت دكس[٥٠]. وكذلك فعل جيبرت النوجنتى ، الذى ذكر من القادة وليم التاسع

فقط، ولخص أحداث الحملة بأن ألكسيس قد خانه وأخبر عنه الترك الذين قضوا على حملته. ثم كرس بقية روايته ليخبرنا عما حدث لكونت بلوا وقواته ، وجعل موقع المعركة عند حدود أرمينية ، دون أن يذكر أى شيء عن المدن التى مر بها الفرنج فى رواية ألبرت دكس ، وجعل مدة المعركة ثمانية أيام . وكذلك فعل متى الرهاوى وابن الأثير اللذان جعلا روايتهما تجمع كل قوات الحملة فى الموقعة التى هزم فيها اللمبارديون والفرنسيون بقيادة ستيفن كونت بلوا[٥١].

أما رواية فيتاليس ، فتحليلها يتطلب تتبع عدة عناصر ، وهى نفسها العناصر التى بنى عليها ألبرت دكس روايته ، والتى أعطتها الأهمية القصوى بين غيرها من الروايات التى تناولت تاريخ الحملة . وهذه العناصر تنحصر فى أحداث الحملة ، وأعداد الصليبيين الذين شاركوا فيها ، ثم أسباب فشلها التى تعكس طبيعة موقف فيتاليس – كمؤرخ – تجاه البيزنطيين واللاتين. أما عن أحداث الحملة فإن فيتاليس يجعل الصليبيين يخرجون من نيقوميديا لينحرفوا عن الطريق الذى سلكته الحملة الأولى إلى بلاد الشام ودخولهم الى إقليم بونتس دون أن يقدم سببا لذلك[٥٢]. ليسيروا لمدة ثلاثة أسابيع خلال أماكن وعرة وأنهار خطرة وغابات كثيفة ، وساروا يترنحون حتى وصولوا إلى مدينة جنجرة حيث وقعت المعركة الوحيدة والحاسمة بين الفرنج والسلاجقة ، والتى انتهت باندحار الصليبيين وتشتت قواتهم مختصرا بذلك الأحداث دون أن يذكر وصولهم إلى أنقرة واستيلائهم عليها وذلك فى ٢٣ يوليو ١١٠١م[٥٣]. كما أنه بتحديد جنجرة كموقع للمعركة الفاصلة مع السلاجقة ، يكون قد اختصر مسيرة الفرنج من جنجرة شمالا إلى قسطمونى ، ومعاناتهم من هجمات السلاجقة وحلفائهم ، ثم الانحراف مرة أخرى إلى الشرق حيث عبروا نهر هاليس ، واجتاحوا القرية المسيحية ثم وصلوهم إلى مدينة مرسيفان حيث وقعت المعركة فى رواية ألبرت دكس[٥٤]. وربما يرجع اختصار فيتاليس للأحداث إلى اضطراب الرواية الشفهية التى أمده بها الرواة من صليبى الحملة ، الأمر الذى لم يتمكن معه من تحديد

أسماء المدن أو الطريق الذى سلكه الصليبيون بدقة ، وهو ما اعترف به ألبرت دكس نفسه رغم كثرة التفاصيل التى أوردها ، فالأخير ، يذكر أن الفرنج قد اجتازوا عدة مدن وقلاع لم يستطع هو التعرف عليها [٥٥]. وربما يرجع الإيجاز الذى اتسمت به رواية فيتاليس إلى اشتغاله أصلا بسرد تاريخ غرب أوربا ، وربما كان هدفه هو التركيز على تحديد النتائج أكثر منه على سرد التفاصيل.

أما عن أحداث المعركة ، فرغم أنها كانت أكثر أجزاء رواية فيتاليس تفصيلا ، إلا أنها لم تبلغ بتفاصيلها حجم رواية البرت دكس ، رغم أن رواية الأخير تشوبها سمات قصص الملاحم والخيال ، وربما كان ذلك لأن مصدر معلوماته كان أدبيا أكثر من قصص من عاش من صليبى الحملة التى استشهد بها وسردها فى مواقع أخرى من روايته ، لذلك كانت تفاصيله محل الشك. إلا أن الصورة العامة للمعركة تتفق فى ملامحها مع ما أوردته آن كومنين[٥٦].

وبصرف النظر عن التفاصيل الدقيقة ، فإن رواية فيتاليس رغم اضطرابها ، تتفق مع رواية ألبرت دكس فى بعض جوانبها ، وتختلف عنها فى البعض الآخر ، فيتفق الاثنان على أن المعركة قد استمرت لمدة خمسة أيام، حيث تبدأ المعركة عند ألبرت دكس فى يوم الجمعة دون تحديد تاريخ لهذا اليوم [٥٧].ونعرف ذلك لأنه يذكر أن الجيشين الصليبى والسلجوقى قد ركنا إلى الراحة والكف عن القتال فى اليوم الثالث وهو يوم الأحد ، وينهى المعركة فى اليوم الخامس (يوم الثلاثاء) بانقضاض السلاجقة على معسكر الفرنج بعد هروب القادة الصليبيين فى مساء اليوم الرابع الإثنين). وقتلهم لكل من كان فيه من ثلة الفرسان المتقبين فيه لضعف خيولهم ،والمشاة ، وغير المحاربين [٥٨].أما فيتاليس ، فلم يذكر أسماء الأيام ، وإنما حدد فقط المدة التى استمر فيها الفرنج يقاتلون السلاجقة ، وهى خمسة أيام [٥٩]. إلا أن فيتاليس جمع أحداث الأيام الأربعة الأولى من مدة القتال معا ليصف لنا كيف بدأ السلاجقة الهجوم وفرض القتال على الفرنج المنهكين من عناء الرحلة ، وكيف قاتل الطرفان بعضهما البعض

بشراسة. ثم نجده ينتقل فجأة إلى اليوم الخامس حيث كان السلاجقة على وشك التراجع حين بدأ كونت تولوز بالفرار مع قواته وتركبولية الإمبراطور البيزنطى ، ويقوم أحد أتباعه بهدم خيمة سيده حتى يعلم بقية الفرنج – الذين أشفق عليهم التابع– بانسحاب سيده ، ليهرب بقية القادة من ميدان القتال لينفرد السلاجقة بمن يقى من الفرنج فى المعسكر ليعملوا فيهم القتل ، ويأسرون البقية الباقية من النساء[٦٠].

كما يتفق فيتاليس مع ألبرت دكس فى أن أول من هرب من قادة الفرنج كان ريموند كونت تولوز ، ثم تبعه بقية القادة[٦١]. وإذا كان ألبرت دكس قد ذكر عدة أسماء لفرسان من الفرنج قد لقوا حتفهم فى أثناء المعركة ، فإن فيتاليس لم يذكر من الأسماء المعروفة من قتلى الفرنج سوى ألبرت كونت بياندرات مختلفا بذلك عما ذهب إليه ألبرت دكس من نجاح الكونت فى النجاة بحياته[٦٢]. أما فيما يخص مصير بقية قادة الفرنج ، فيتفق فيتاليس مع ألبرت دكس من أن كونت تولوز قد تمكن من الوصول إلى القسطنطينية ، ومنها إلى ميناء طرسوس ثم وقوعه تحت تحفظ تنكريد الوصى على أنطاكية ثم وصوله مع بقية القادة إلى أنطرطوس والاشتراك معهم فى الاستيلاء عليها فى فبراير من عام ١١٠٢م [٦٣].كما يتفق المؤرخان على نجاح وليم التاسع دوق بواتييه فى الوصول إلى أنطاكية [٦٤].أما بقية القادة مثل ستيفن كونت بلوا ، وستيفن دوق برجنديا ، والكند سطبل كونراد ، ودوقة النمسا ، ورئيس أساقفة ميلان وهيو آربين كونت بورجيه ، فلم يذكر فيتاليس عنهم شيئا ، بل يذكر أنهم تمكنوا من الوصول إلى فلسطين ضمن من هرب من القادة دون ذكر أسماءهم ليعود ويذكرهم فى سياق كلامه عن مشاركتهم للملك بولدويين الأول فى قتال الفواطم فى المعركة الرملة الثانية ١٧ مايو ١١٠٢م[٦٥].

ومثل كل مؤرخى الحروب الصليبية من اللاتين المعاصرين الذى سردوا تاريخ حملة ١١٠١م الصليبية ، مثل ألبرت دكس ، وجيبرت النوجنتى ، وفولشر الشارنزى، فقد أكمل فيتاليس روايته عن هذه الحملة ، ودور قادتها فى سياق كلامه

عن موقعه الرملة الثانية التى انتصر فيها الجيش الفاطمى على فرنج مملكة بيت المقدس الصليبية بقيادة الملك بولدوين الأول . إلا أن فيتاليس يضع أمامنا نفس المشكلة التى واجهنا بها عند حديثه عن أحداث الحملة فى بيزنطة وآسيا الصغرى ، وهى الإيجاز الذى شاب روايته ، وليس لدينا سبب لذلك سوى أنه روى تاريخ الحروب الصليبية عامة ليكمل فقط عمله الأصلى وهو تاريخ الغرب الأوربى من خلال سرده لتاريخ الكنيسة الغربية . ورغم أن هذا قد جعله – فيما يخص حملة ١١٠١م – يأتى فى المرتبة الثانية من حيث الأهمية كمؤرخ للحملة بعد ألبرت دكس . إلا أن هذا الإيجاز لم يمنعه من تقديم العناصر المهمة فى الأحداث التى يرويها . ولم يقع الاضطراب فى رواية فيتاليس إلا فيما يخص أسماء قادة حملة ١١٠١م الذين شاركوا بولدوين فى موقعة الرملة، وتحديد أيهم وقع أسيرا لدى الفواطم ،وأيهم سقط قتيلا فى المعركة . فقد ذكر من الأسرى أودو آربين فقط . ثم فى موقع آخر يذكر ستيفن كونت برجنديا ، الذى مات فى المعركة ، وخلط بينه وبين الكند سطبل كونراد الذى بقى مع أودو فى أسر الفواطم لمدة ثلاث سنوات ، ثم يعطينا رواية مسهبة عن فك أسر الأخير[٦٦]. أما عن قتلى الفرنج فى موقعة الرملة ، فقد ذكر كلا من ستيفن كونت بلوا، ومايلز كونت براى ،ووليم سان افوار وشقيقه سيمون ،ولم يذكر شيئا عن بقية القتلى، مثل هيولوزينان وجيفرى فندوم[٦٧].وربما كان مرجع ذلك إلى أن فيتاليس يذكر أسماء القتلى الذين ذكرهم بولدوين لاتباعه فى يافا حين وصلها بعد هروبه من الرملة،وبولدوين هنا يذكر ما توقعه هو من مقتل القادة الصليبيين على أيدى الفواطم وربما يرجع ذلك أيضا إلى اهتمام فيتاليس الدائم بتسجيل أهم الأسماء لديه ، وكذلك أهم الأحداث ، وهو ما اتسمت به روايته بالفعل . فقد قدم لنا سبب هزيمة الفرنج فى هذه الموقعة وهو اندفاع الملك بولدوين لخوض المعركة ضد الجيش الفاطمى ، وعدم حرصه على انتظار وصول ما احتشد من قواته فى يافا وفى بيت المقدس ، أو حتى وصول قوات أنطاكية بقيادة تنكريد وقوات الرها بقيادة بولدوين دى بورج لمساعدته فى

التصدى للفواطم ، هذا إلى جانب عدم دقة تقديره للقوة العديدة للجيش المصرى فكانت الهزيمة[٦٨].

وليعطى فيتاليس دورا بطوليا لقادة حملة ١١٠١م فى معركة الرملة ،فقد جعلهم – وهم محاصرون فى الرملة مع بولدوين – يطلبون من الملك الصليبى أن يذهب للدفاع عن بيت المقدس ، ويتركهم لمصيرهم الذى تيقنوا منه وهو الموت على أيدى القوات الفاطمية. هذا على عكس ما ذكره ألبرت دكس من أن أحد الأعراب – كان بولدوين قد أحسن معاملة زوجته حين أغار الأخير من قبل على إقليم وراء الأردن – وحذر بولدوين من هجوم الفواطم الذى سيبدأ عند بزوغ الفجر لاقتحام حصن الرملة الذى يقبع فيه الملك مع رفاقه ، فأخذ الملك بنصيحة الأعرابى وتسلل من الحصن ليلا ليصل بعد يومين إلى أرسوف ومنها إلى يافا ليروى لأتباعه هناك ما حل بالفرنج ويصف أحوال المحاصرين منهم فى الرملة[٦٩].

هذا عن أحداث حملة ١١٠١م ، أما عن أعداد الصليبيين التى وردت فى رواية فيتاليس فإنها تثبت ما ذهبنا من أنه رسم صورة تلسكوبيه ، عامة لكل ما يتعلق بالحملة الصليبية ، وكان لهذا تأثير على كل عناصر روايته الأمر الذى جعلها تختلف عن رواية البرت دكس ، فمن المعروف أن دقة الإحصائيات لم تكن من مزايا مؤرخى العصور الوسطى بعامة ، ومؤرخى الحروب الصليبية بخاصة ، ويجد المؤرخون الحديثون صعوبة فى الأخذ بالأعداد التى يوردها كل مؤرخ معاصر للأحداث سواء الأعداد الكلية للقوات المشاركة فى المعارك والحملات أو تلك الأعداد الصغيرة التى ترد فى الروايات المعاصرة . ورغم أن ألبرت دكس يقدم لنبا أرقاما – فيما يخص حملة ١١٠١م – اعتبرها المؤرخون الحديثون مقياسا دقيقا – إلى حد ما – بنوا عليه إحصائياتهم التى أخذوا بها بالنسبة لأعداد صليبيى الحملة وأعداد قتلاهم ،وأعداد الذين نجوا بحياتهم من القتال ممن فروا إلى القسطنطينية أو إلى أنطاكية ، ورغم محاولة ألبرت دكس تثبيت الأرقام ومحاولة تعميمها ، الأمر الذى جعل المؤرخين

الحديثين يذهبون إلى أنها تتفق مع طبيعة المهام التى تقوم بها مجموعات الصليبيين ، وأنها الأكثر دقة[٧٠]. الأمر الذى قد يوحى بأن تحركات الصليبيين كانت منظمة ، فإن ذلك لا يتفق مع واقع حال الفرنج والجيوش الصليبية الثلاثة ، التى عبرت البسفور إلى آسيا الصغرى ، خاصة حين بدأت تواجه غارات وهجمات السلاجقة ، حيث دبت الفوضى بين صفوف الصليبيين ، ولم يكن لديهم أسلوب منظم لتنظيم نقل وتحركات القوات [٧١]. وربما كان دافع المؤرخين الحديثين إلى الأخذ بإحصائيات ألبرت دكس ، واعتبارها الأكثر دقة ، وهو أنه عالج الأحداث التى مر بها كل جيش من الجيوش الصليبية على حده . بينما عالجها فيتاليس كحملة واحدة ، ولم يتعرض وهو يرسم صورة عامة للحملة للتفاصيل التى أوردها ألبرت دكس . لذلك كانت الإحصائيات عند فيتاليس أقل منها عند البرت دكس . ورغم ذلك فالغريب فى الأمر أن إحصائيات فيتاليس رغم المبالغة التى اتسمت بها فى بعض الأحيان ، إلا أنها تتفق فى النهاية مع ما أورده ألبرت دكس ، وبثبت ذلك بتفحص رواية فيتاليس – مرة أخرى – وتتبع الأرقام التى أوردها لنا ، ومقارنتها بمثيلتها عند ألبرت وغيره من المؤرخين.

فقد ذكر فيتاليس أن وليم التاسع ، دوق بواتييه ، قد خرج فى حملته إلى الشرق " ويقال أن ثلاثمائة ألف رجل مسلح قد ساروا وراء رايته عندما غادر أكوتين[٧٢]. بينما خرج ستيفن كونت بلوا " مع عدة آلاف من الفرنسيين"[٧٣]. كما خرج أسقف ميلانو وألبرت دوق بياندرات " مع قوات من الإيطاليين"[٧٤].وإذا ما وضعنا فى الاعتبار أن فيتاليس قد عالج أحداث حملة ١١٠١م بجيوشها الثلاثة مجتمعة فى معركة واحدة ، وأنه حدد لنا العدد الإجمالى للقوات الصليبية كلها بخمس مائة ألف مسيحى "quingento milia christianorum" فإنه يكون قد قدر عدد بقية القوات – باستثناء قوات أكوتين – من اللمبارديين ، وفرنج شمال فرنسا ، وبرجنديا ، إلى جانب قوات كونت نيفر وبافاريا ، والقوات التى صاحبت الكندسطبل كونراد – دون أن يذكر عددها – بمائتى ألف مقاتل . أما ألبرت دكس فقد حدد عدد اللمبارديين

(٣٠ ألف) ، وقوات شمال فرنسا (٢٣٠ ألف) ، وقوات أكوتين وبفاريا (١٦٠ ألف) وقوات نيفر (١٥ ألف)، والقوات التى صاحبت كونراد (٢٠٠٠) فيكون مجموع القوات الصليبية مجتمعة هو ٥٢٧ ألف مقاتل [٧٦]. وبمقارنة هذا الرقم (٥٢٧ ألف) بالرقم الإجمالى للحملة الذى أورده فيتاليس (٥٠٠ ألف) يكون رقم ألبرت دكس – إذا كنا نرصد سمة المبالغة فى الأرقام – هو الأكثر مبالغة.

ومهما يكن من أمر ، فإذا كان الرقمان متقاربين ، فقد اتفق المؤرخان على أن العدد الإجمالى لقتلى الفرنج فى حملة ١١٠١م قد بلغ أربعة أخماس الجيش الصليبى "فقد مات حوالى أربعمائة ألف مسيحى بأجسادهم ولكنهم ، يعيشون فى سلام أبدى مع المسيح الذى ماتو فيه" [٧٧]. ويتتبع فيتاليس مصير من تبقى على قيد الحياة من الفرنج وهم مائة ألف وغالبية هؤلاء وقعوا فى أسر السلاجقة . أما القلة القليلة من المقاتلين فقد تمكنت من الفرار مع القادة إلى أنطاكية أو إلى القسطنطينية[٧٨]. أما من فر إلى الجبال والكهوف والمغارات بعد المعركة فبعضهم تمكن من الوصول إلى أرمينيا ، حيث ساعدهم الأرمن والسوريان ، وأمدوهم بالطعام ودلوهم على الطريق إلى أنطاكية[٧٩].. ولا يحدد لنا فيتاليس ، ولا غيره من المؤرخين أعداد الفرنج الذين وصلوا إلى بلاد الشام ، وإن كان عددهم لا يتعدى عدة مئات قليلة [٨٠].أما المبالغة فى الأعداد عند فيتاليس ، فربما تتعلق بعدد القوات التى حددها لتصاحب وليم التاسع كونت بواتييه وحده (٣٠٠ ألف مقاتل) والتى حددها ألبرت دكس بحوالى ١٦٠ ألف مقاتل متفقا فى ذلك مع إيكارد بعد أن ضم إليها قوات دوق بلفاريا. كما أننا نلمس المبالغة عند فيتاليس حين حدد عدد التركبولية الذين بعث بهم الإمبراطور ألكسيس مع الفرنج بحوالى ٢٠ ألف تركبولى بقيادة القائد تسيتاس "buds turcopolorum xx Mili"[٨١]. بينما كان العدد الذى أورده ألبرت دكس لهذه القوات الأقرب إلى الدقة (٥٠٠ مقاتل) ويتفق بالفعل مع طبيعة المهمة التى سيقومون بها كأدلاء أو حرس للقوات الصليبية فى دروب آسيا الصغرى[٨٢]. وإذا كان فيتاليس قد بالغ فى تقدير حجم القوات الصليبية فى بعض

إحصائياته ، بأن جعلها تبدو قوات ضخمة خاصة قوات أكوتين ، فربما كان ذلك ليعطى دورا أكبر لوليم التاسع فى حملة ١١٠١م ، أما عن إحصائية من تمكن من النجاة من الموت من المعركة ، فلم ينج من الأسر – من بين المائة ألف الذين حددهم فيتاليس وألبرت دكس – إلا القادة وقليل من الفرسان نفهم من المصادر أن عددهم لم يتعد عدة مئات قليلة . فلم يذكر فيتاليس أى أعداد من الفارين سوى القادة فقط. ولم يحدد القوات التى فرت مع كل قائد سواء أولئك الذين فروا مع وليم دوق بواتييه الذى شق طريقة بصعوبة إلى أنطاكية كشحاذ فقير مع ستة من رفاقة"[٨٣]. الذين فروا مع كونت تولوز الذى فر مع رجاله والتركبولية عائدا إلى القسطنطينية [٨٤].ولم يكن رجال كونت تولوز سوى حرسه الخاص كما ذكر ألبرت دكس[٨٥].

وإذا كانت حملة عام ١١٠١م الصليبية ، كما يرى المؤرخون الحديثون ، بكل المعايير تعتبر حملة فاشلة تماما[٨٦].فإن الإحصائية السابقة تعتبر أهم المعايير المستخدمة لتقييم أعمال هذه الحملة والحكم عليها. فمن بين آلاف الفرنج الذين خرجوا من أوربا إلى الشرق ، لم يصل إلى مملكة بيت المقدس سوى عدة مئات ، ولم يتبق من هؤلاء إلا عدد قليل جدا ليقدموا للملك بولدوين الأول العون الذى كان يرجوه ليتمكن من صد الهجوم الفاطمى على مملكته . ولإنجاز الوحيد الذى يحسب لفرنج هذه الحملة ، هو المساعدة التى قدموها لريموند كونت تولوز ليتمكن من الاستيلاء على أنطرطوس التى أصبحت نواة لتكوين ركيزة صليبية جديدة – فى وسط الشام – وهى كونتية طرابلس . فحتى المعركة التى خاضها فرنج الحملة مع بولدوين الأول فى الرملة قد انتهت بهزيمة الفرنج.

وإذا كان المؤرخون اللاتين قد رأوا فى هذه الحملة مثالا ناصعا للفشل مقارنة بإنجاز الحملة الصليبية الولى ،فإن غالبيتهم ، كعادتهم عند كل هزيمة يتعرض لها الصليبيون[٨٧]. قد أرجعوا فشل الحملة واندحار جيوشها إلى غضب الرب الذى عاقب الفرنج على خطاياهم ، وغرورهم وتفاخرهم ، والآثام التى ارتكبوها ضد إخوانهم

المسيحيين[٨٨]. وقد صب عليهم الرب جام غضبه خلال شخصية يملأها الشر، وهى الإمبراطور ألكسيس كومنين الذى اتهموه جميعا بخيانة الصليبيين والتحالف مع السلاجقة ضدهم ، الأمر الذى أسقط الصليبين فريسة للمسلمين وأدى إلى فشل الحملة. وهو السبب الرئيسى لفشلها[٨٩].

وإذا كان كل من ألبرت دكس وجيبرت النوجنتى وإيكهارد ، ووليم الصورى، قد اتهموا الإمبراطور البيزنطى بالخيانة ، فإن موقف فيتاليس من هذه القضية اختلف عن هؤلاء . وللوقوف على طبيعة هذا الموقف ، لابد من مقارنة روايته بروايات كل هؤلاء فيما يخص هذه القضية . فقد ربط البرت دكس بين ريموند كونت تولوز وبين الإمبراطور البيزنطى ، واتهمهما معا بالخيانة . إلا أن البرت – الذى كرر اتهاماته ضدهما فى عدة مواضع من روايته عن الحملة – لم يقدم لنا دليلا على ذلك بل إنه فى أكثر من مناسبة يورد عبارات تبرىء كل منهما من هذه الاتهامات. فهو فى موضع يروى لنا كيف أن الإمبراطور والكونت قد عارضا رأى اللمبارديين فى الانحراف بالحملة شرقا إلى أراضى الدانشمند[٩٠]. وفى موضع آخر يظهر لنا كونت تولوز وهو يقاتل ببسالة ضد السلاجقة حتى بعد اتفاقه المزعوم معهم [٩١] . كما يظهر لنا الإمبراطور وهو يعنف كونت تولوز – بعد فراره من المعركة – على تخليه عن رفاقة[٩٢]. أما إيكهارد وهو المؤرخ اللاتينى الذى يعتبر شاهد العيان الوحيد لبعض أحداث الحملة فيخبرنا بإنه قد سمع إشاعات عن الخيانة لكن ليس لديه دليل عليها[٩٣]. أما جيبرت النوجنتى ، فبرغم أنه بدأ باتهام الإمبراطور بإخبار السلاجقة– من خلال الرسائل – بنبأ وصول وليم التاسع دوق بواتييه إلى بيزنطة ليستعدون لمواجهته "إن أكثر أغنام فرنسا سمنة فى طريقها إليكم ويقودها راع أحمق"[٩٤]، إلا أنه لا ينكر أن الإمبراطور قد نصح الفرنج بقيادة ستيفن كونت بلوا – فرنج الحملة اللمباردية الفرنسية – بعدم اتخاذ طريق مخالف للطريق الذى سلكته جيوش الحملة الصليبية الأولى ، حتى لا يتعرضوا لمخاطر اجتياز الأراضى التى يسيطر

عليها السلاجقة، رغم أنه قد أورد لنا سببا غير مقنع دفع ألكسيس إلى إسداء هذه النصيحة وهو أن الإمبراطور لم يكن يريد لحملة ١١٠١م أن تحقق إنجازا جديدا يجعل للفرنج أفضلية عمن سبقوهم من فرنج الحملة الأولى[٩٥].فبالطبع ، أن أى إنجاز كان سيتحقق على أيدى الفرنج فى آسيا الصغرى كان من شأنه أن يعود بالفائدة على الإمبراطور الذى كان من المفروض حسب ما أقسم به قادة الصليبيين أمامه ، أن يتسلم كل ما يستولون عليه من مدن وحصون كانت بأيدى السلاجقة فى المنطقة ، أما وليم الصورى ، الذى نقل عن كل هؤلاء ، فإنه بعد أن يعترف بأن الإمبراطور قد عامل الصليبيين أطيب معاملة ، فإنه يعود ليتهمه بالخيانة فى رواية تتطابق مع رواية جيبرت النوجنتى وأرجع ذلك التصرف من قبل الإمبراطور " بسبب الحسد الذى أكل قلبه من نجاح الصليبيين"[٩٦]. متناسيا – مثل جيبرت – أن أول المستفيدين بهذا النجاح سيكون الإمبراطور نفسه.

أما عن موقف فيتاليس من هذه القضية ، فإنه لم يكن من السهل تحديده – وقد وضع الجيوش الصليبية الثلاثة معا فى رواية واحدة – من خلال عبارة يختتم بها أحداث روايته ،وإنما كان لابد من التمعن فى تفاصيل هذه الرواية وتفنيد الاتهامات الموجهة إلى الإمبراطور، وربطها بأحداث الحملة نفسها. وبشكل عام ، فإن فتياليس سجل لنا ما يؤخذ على الإمبراطور ، وما يحسب له فى أكثر من مناسبة . ففى البداية، لا ينكر فيتاليس حسن استقبال ألكسيس للصليبيين ، وحكمته فى معاملتهم" وهكذا منحهم امتياز المرور بأمان فى أراضيه ، واستجاب بسخاء شديد لكل مطالبهم ،ومنح قادتهم هدايا ضخمة، وأمر بأن يرافقهم الحرس حتى قبادوقيا" [٩٧]. إلا أنه سرعان ما يسجل لنا ما يدل على ارتياب الفرنج فى نوايا الإمبراطور حين بدأوا يتشاورون فيما بينهم – بعد وصولهم إلى القسطنطينية – حول المرحلة المقبلة من رحلتهم إلى الشرق ، وقد حددوا المخاطر التى سيتعرضون لها ، وكان من أهمها بالنسبة لهم بأن خلفهم "إمبراطور لا إيمان له هو ورعاياه الذين ننظر إليهم بكل ارتياب ، وعلى يميننا البحر

حيث كريت وقبرص ورودس وجزر أخرى كثيرة وهى كلها تحت حكم الإمبراطور ، وتنظر إلينا بكراهية "[٩٨]. إلا أننا لابد أن نضع فى اعتبارنا أن كل هذا جاء على لسان الفرنج ، ولم يعبر عن رأى فيتاليس الشخصى . كما أنه اختتم العبارة الأخيرة ، بما يدين الفرنج قبل أن يدين الإمبراطور ، حين اعترفوا بأنه إذا كان البيزنطيون يكرهونهم فإن ذلك كان " بسبب الأفعال السيئة لمواطنينا الذين جاءوا قبلنا"[٩٩]. ، وهم فرنج الحملة الصليبية الأولى . ثم يدين فيتاليس الفرنج على أفعالهم ضد الإمبراطور بصراحة حين قرروا مهاجمة القسطنطينية حينما قوبل طلبهم بمصاحبة كونت تولوز لهم خلال رحلتهم فى آسيا الصغرى بالرفض، ويتهمهم فيتاليس بالاندفاع والتهور ، الذى كان عليه فرنج بواتييه وقائدهم وليم التاسع " ولم يوافق ستيفن والسادة المعتدلون الآخرون على هذا الاقتراح.... إلا أن الأكوتينيين وبعض الجماعات المشاغبة الأخرى ممن كانوا يرغبون فى أن يحكمهم الطموح هللوا لرعونة الشباب التى أبداها قائدهم الأحمق . وهكذا عادوا بوقاحة وحاصروا بيزنطة لثلاثة أيام"[١٠٠]. ثم يؤكد فيتاليس على طبائع الفرنج من بنى جلدته وعلى لسان واحد منهم هو كونت تولوز مدينا إياهم بالخطأ فى حق الإمبراطور البيزنطى ، وذلك بعد أن هاجم الفرنج القسطنطينية ، وقام مبعوثو الإمبراطور بتهدئتهم ،وعاد الإمبراطور يرجو كونت تولوز أن يوافق على مطلبهم بمصاحبة الأخير لهم خلال المرحلة المقبلة من رحلتهم فى آسيا الصغرى إلى الأرض المقدسة . ورد الكونت موافقا بقوله: " إن مواطنى كثيرا ما يقومون بمثل هذه الهجمات ، وأنا أعرف تماما المشاكسات المزعجة لزملائهم فى مثل هذه الحالات . وجلالتكم بحكمتكم لا تحتاج تفسيرات مطولة مسهبة.فتعقد هدنة مع مثيرى المتاعب فى الوقت المناسب . إن هذا تقتضية المصلحة العامة، وإلا فإن كثيرين سيفقدو حياتهم إن لم أكن مخطئا[١٠١]. ثم يتصاعد الموقف فى رواية فيتاليس وكأنه كان يقدم العذر للإمبراطور وكونت تولوز لما سيكون لهما من رد فعل بتسجيله لبقية ما أباح به الكونت للإمبراطور بقوله ".... إن الجاسكونيين (أتباع دوق بواتييه) السفهاء يطلبون

أن أرافقهم فى رحلتهم ويجبروننى بطيش على أن أخرج للحج على غير رغبة منى ، ولن يكون إلحاحهم المتهور على تنفيذ مثل هذه الخطط بلا ثمن . إننى فى غاية الأسف أيها الإمبراطور العظيم على ما لحق بالإمبراطورية المقدسة من ضرر. ولكن لن أقول كل ما أفكر فيه الآن. فسوف ننتظر وقت الانتقام عندما يعاقب هؤلاء الرجال الخارجون على القانون على جرأتهم التى تصدم المشاعر . أنظر كيف تلوثت أسوار وتدنست قدسيتها بدماء أبنائها كما ترى الآن بكل أسف ، يالخجلنا ، فى هذه اللحظة"[١٠٢]. كل هذا يضعه فيتاليس على لسان ريموندكونت تولوز الذى نفهم منه أن الكونت لم يكن يرغب فى مرافقة الصليبيين إلى بلاد الشام . وما يبرىء ساحة الكونت هو أننا نعلم تماما أن الخروج مع الفرنج وقيادتهم إلى بلاد الشام كان من شأنه أن يساعد الكونت على تحقيق ما كان يخطط له ويحلم به من تعويض لما فاته من فوائد لم يحققها من مشاركته فى الحملة الصليبية الأولى ، وهو تكوين ركيزة صليبية له فى بلاد المسلمين كما حقق منافسه بوهيمند فى أنطاكية ، و بعد أن فشل هو فى الجلوس على عرش مملكة بيت المقدس . إلا أن فيتاليس يسترسل فى روايته . ولكن بلسانه هو ليوجه اتهامه الصريح لكل من الإمبراطور البيزنطى وكونت تولوز معا بالخيانة كما فعل غيره من المؤرخين . وهى المرة الأولى التى يعبر فيها فيتاليس عن رأية الشخصى، مع أنه كثيرا ما أنصف البيزنطيين فى مواقف مشابهة [١٠٣]. ومع أنه سيوضح لنا عدم تأكده من خيانة كونت تولوز فيما بعد .إلا أنه فى هذا الموضع يذكر أن الإمبراطور والكونت " قد تبادلا مثل هذه الكلمات ، وتآمرا حول الطريقة التى يمكن بها الرد على الأعداء لما أحدثوه من ضرر وما فعلوه" [١٠٤]. ولم يكن ردهما عند فيتاليس سوى خيانة الصليبيين مع السلاجقة . فبعد أن وعد الإمبراطور الفرنج بمصاحبة الكونت لهم. وبعد أن عبروا البسفور إلى نيقوميديا لحق بهم الكونت"وأرسل الإمبراطور عددا من السفن محملة بالعملة **Tartaronibus** وأمر بتوزيعها على الجميع طبقا لرتبة كل واحد ومركزه . وكان اليونانيون (البيزنطيون) يطلقون على عملات معينة مربعة مصنوعة

من النحاس اسم تارتارون Tartarones وكان أهالى المقاطعات اليونانية وبيثينيا يستخدمونها فى المتاجرة مثلما يستخدمون الفيليبس Philippisأو البيزنطات Bizantiiis[١٠٥].وتلقى الحجاج المعوزون هدايا الإمبراطور بلهفة جهلا منهم بخداع هذا الخائن ومكائده الشريرة . فبهذه الوسيلة عرف ذلك الماكر الباحث عن الحقيقة أعدادهم حيث حسب عدد من تلقوا الأموال طبقا للكمية التى كانت تعطى لكل منهم . ثم أنه أرسل تقديرا لعددهم إلى الدانشمند وقلج ارسلان ، وأمراء الأتراك الآخرين ، ونصحهم بتجميع قوات العالم الوثنى وبأن يجبرونهم على خوض المعركة فى بفلاجونيا . وكان رجالنا يجهلون الخدعة[١٠٦].وبذلك يتهم فيتاليس الإمبراطور بمشاركة الكونت خيانته للفرنج، وقيام الأول بعمل إحصاء للقوات الصليبية ليبلغ السلاجقة بحجم القوات الصليبية ليستعدوا لملاقاتهم والقضاء عليهم.وفى موضع آخر وبعد انتصار السلاجقة على الصليبيين يعود فيتاليس ليؤكد اتهامه للإمبراطور والكونت معا حيث يروى أن الكونت قد فر مع رجاله والتركبولية البيزنطية"عائدا إلى القسطنطينية حيث أسعدوا الإمبراطور كثيرا بروايتهم عن مصير المسيحيين المأساوى . وكلن الدانشمند ، وقلج ارسلان وأمراء الأعداء الآخرين الذين استبدت بهم نشوة النصر أعادوا إلى الإمبراطور العدد الكبير من الأموال التى كان قد أعطاها بخداع للمسيحيين متظاهرا بالعطف عليهم . كما أرسلوا إليه نصف الغنائم التى أخذوها من الأعداء المهزومين . وهكذا عقد الخائن الغادر صفقة مع الأتراك ، وبهذه الطريقة باع المؤمنين للكفار" [١٠٧]. أما بالنسبة لكونت تولوز فإن فيتاليس يظهر لنا عدم تأكده من تهمة الخيانة ، حين توغل الصليبيون فى أراضى الدانشمند بقوله "ولا أعرف على وجه اليقين ما إذا كان كونت سان جيل قد أخطأ الطريق بسبب الجهل ، أو أنه ضلل مواطنيه عن سوء نية سعيا إلى الانتقام" [١٠٨]. أما بالنسبة للإمبراطور البيزنطى ، فإنه إذا كانت رواية فيتاليس صحيحة ،وإذا كان ألكسيس قد قام بعمل إحصاء لأعداد الفرنج، فلماذا لا يكون ذلك لتحديد كمية الهدايا التى كان يقدمها لهم من آن

لآخر[١٠٩]. قبل عبورهم البسفور وليس بعده ، فإذا كان للفرنج أن يستفيدوا من الأموال التى قدمها لهم الإمبراطور ، فإنهم سيستفيدون بها قبل عبور البسفور لشراء ما يلزمهم من أسواق إقليم تراقيا والقسطنطينية نفسها ، وليس بعد عبورهم البسفور حيث يواجهون السلاجقة فى أى وقت وفى أى مكان وإذا كان الأمرك كذلك، فماذا لا يكون هذا الإحصاء لإعداد العدد المناسب من السفن لنقل هذه الأعداد من الفرنج عبد البسفور إلى آسيا الصغرى على دفعات حسب أعدادهم . وكان هذا إجراء ضروريا لتنظيم نقل القوات دون اضطراب.

ورغم اتهام فيتاليس للإمبراطور والكونت بالخيانة ، وإن كان ذلك مشاركة منه لبقية المؤرخين اللاتين ، دون دليل واضح ، فإن دراسة الصورة العامة لأهداف كل من الرجلين ،ودارسة أحوال الجيوش الصليبية ، وتحركاتها يتضمن الرد على هذه الاتهامات . فبالنسبة للإمبراطور البيزنطى فإنه عارض فى البداية انحراف اللمبارديين عن الطريق المأمون آنذاك ، والذى سبق أن سلكته جيوش الحملة الصليبية الأولى ، وطلب منهم الاتجاه مباشرة خلاله إلى بلاد الشام ، الأمر الذى يتفق مع مصالحه هو ، ومفاوضاته مع قادة الحملة ، والايمانات التى جعلهم يؤدونها له توضح أنه ثبت على سياسته التى اتخذها لنفسه منذ قدوم الحملة الأولى إلى بلاده ، وهى المحافظة على أملاكه من عبث الفرنج والاستفادة منهم فى القتال ضد السلاجقة لاسترداد ما استولى عليه الأخيرون من مدنه وقلاعه فى آسيا الصغرى[١١٠]. فلم يكن من صالحه أن يضلل أو يخون حلفاء له بالرغم من فوضاهم وإهاناتهم له ولرعاياه ليقعوا فريسة للسلاجقة . ولم يكن فى صالحه أيضا أن يبعث بهم عبر بلاد الدانشمند لتخليص بوهيمند عدوه اللدود. أما عن كونت تولوز فكان من صالحه أن تصل الحملة سالمة إلى بلاد الشام ليستفيد من دعم قواتها له لتحقيق ما كان يطمح إلى تحقيقه من مشاريع على حساب المسلمين يعوض بها خروجه خالى الوفاض من أحداث الحملة الصليبية الأولى، وهو ما استفاد منه بالفعل فى الاستيلاء على انطرطوس فى فبراير

١١٠٢م، وفى استعادة شهرته كواحد من أكبر قادة الحملة الأولى [١١١]. فما بالنا لو كانت الحملة كلها قد وصلت سالمة إلى بلاد الشام ، ألم يكن فى استطاعته أن يستولى على مدينة طرابلس فى حينه؟ ثم إن انحراف الحملة إلى عمق بلاد الدانشمند، وتخليص بوهيمند من أسره لم يكن ما يسعى إليه بالطبع كونت تولوز هو ومنافسه الوحيد الذى أوقع به كثيرا من الضرر زمن الحملة الصليبية الأولى.

وأخيرا وربما كان سبب اتهام المؤرخين اللاتين – دون دليل كاف – للإمبراطور بخيانة الصليبين وهو أنهم سجلوا رواياتهم بعد وصول من تبقى على قيد الحياة من فرنج الحملة إلى أوربا[١١٢]. أى بعد انتهاء أعمال الحملة بعدة سنوات وتأثروا بالدعاية التى نشرها بوهيمند حين عاد إلى أوربا فى عام ١١٠٦م ضد الإمبراطور البيزنطى [١١٣] بعد أن جعلهم ما جرى من تشويه لصورة الإمبراطور أمام الرأى العام الأوربى الغربى فى مؤتمر بنفنتو (١١٠٢م) على استعداد للوقوع تحت تأثير هذه الدعاية[١١٤]. وبذلك يمكن تفسير فشل حملة ١١٠١م دون النظر إلى الإمبراطور البيزنطى على أنه خائن تسبب فى هذا الفشل. فقد فشل صليبيو الحملة فى التجمع أمام القسطنطينية ، وتوجهوا إلى آسيا الصغرى فى ثلاثة جيوش منفصلة ليواجه كل منها قوى إسلامية متحدة – وقتيا – لم يكن متوقعا قيام اتحاد بينها فى ذلك الوقت وهى قوات السلاجقة ، والدانشمند ، ورضوان صاحب حلب. هذا ، إلى جانب جهل الفرنج بجغرافية أقاليم آسيا الصغرى ، وطبيعة وأعداد القوات الإسلامية التى سيواجهونها . إلى جانب افتقارهم إلى القيادة ذات الكفاءة العالية ، الأمر الذى عبر عنه المؤرخ اللاتينى وليم الصورى الذى تفهم كل هذه الأمور وهو يكتب بعيدا عن الأحداث بفترة زمنية طويلة ، وببصيرة تميز بها عن غيره من المؤرخين دون أن يتهم أحدا بقوله "ثم شاءت الظروف – إن عمدا أو صدفة – أن يتفرق الصليبيون بعضهم عن بعض ، وسارت كل طائفة منهم فى طريق غير الطريق الذى سلكته الأخرى ، ذلك لأنهم كانوا أشبه بذرات الرمل لا ترابط بينها ، هذا بالإضافة إلى أنه كان ينقصهم

التنظيم الحربى الذى التزم به الجيش الأول جيش الحملة الأولى – ومن ثم سرت روح قوية من الكراهية نحوهم ، فحق عليهم أن يقعوا فى يد العدو"[١١٥]. وبذلك فشلت حملة ١١٠١م فى تحقيق هدفها ، وهو – فى المقام الأول – تقديم العون لملكة بيت المقدس الصليبية الناشئة التى أجبر صليبيوها على الاعتماد على مواردهم المتاحة والمحدودة وكانت هذه بالنسبة لهم هى مشكلة السنوات التالية[١١٦].

من كل ما سبق من تحليل لرواية أوردريك فيتاليس كمؤرخ لحملة سنة ١١٠١م الصليبية ، نخلص إلى أنه رغم عدم اهتمام المؤرخين الحديثين براويته ، باعتبار أن رواية ألبرت دكس هى أدق الروايات التى تناولت تاريخ هذه الحملة وأهمها ، رغم ذلك ، فقد سجل فيتاليس روايته عنها من خلال مصدر معلومات واحد هو روايات من تمكن من العودة إلى أوربا من فرنج الحملة ، وكان عدد هؤلاء بالطبع قليلا . وكان لذلك تأثير كبير على كتابته عن الحملة. فإلى جانب اضطراب روايات شهود العيان، وعدم دقتها ، وميل بعضهم إلى منح دور أكبر لبعض قادة الحملة ، من الدور الفعلى لهم ، وبسبب الغموض الذى اكتنف جوانب كثيرة من تاريخ الحملة ، وعدم تمكن كثير من المؤرخين المعاصرين لها – حتى ألبرت دكس نفسه – من التعرف بدقة على تفاصيل هامة كثيرة من أحداث الحملة سواء ما يتعلق بجغرافية آسيا الصغرى ، أو الطرق التى سلكها الصليبيون والمدن التى مروا بها ، أو حتى تواريخ تحركاتهم ، فإن رواية فيتاليس عن هذه الحملة قد تضمنت حقائق لا غنى عنها بالنسبة للمؤرخين الحديثين ، للوقوف على الحقيقة التاريخية كاملة. وإذا كانت رواية فيتاليس تأتى عند هؤلاء فى المرتبة الثانية بعد رواية ألبرت دكس ، فإن فيتاليس سجل فقط ما يقدم صورة عامة للأحداث مهتما فى المقام الأول بالنتائج دون ذكر التفاصيل التى أوردها أحيانا ألبر دكس ، والتى ربما تكون قد جعلت حجم رواية الأخير أكبر من حجم رواية فيتاليس ، إلى جانب أسلوب ألبرت الذى اتسم بسمات الأساطير أحيانا والتضخيم والمبالغة فى أحيان أخرى . إلى جانب ذلك ، فقد اتسمت

رواية فيتاليس بالواقعية حين سجل اعترافه أكثر من مرة ، بعدم درايته بأسباب حركت شخصياته أو بإعلان تشككه فى أسباب أخرى ، إلى جانب إعلان تأكده من بعض الأمور بإعلان ثقته فى رواة الحدث من شهود العيان . وعلى الجانب الآخر. ورغم أن فيتاليس قد أظهر لنا بوضوح بعض جوانب من طبائع الفرنج من بنى جلدته، إلا أنه شارك غيره من المؤرخين اللاتين المعاصرين من مؤرخى الحروب الصليبية وعلى رأسهم ألبرت دكس ، فى اتهامهم للإمبراطور البيزنطى بخيانة الصليبيين مع السلاجقة ، وفى حين وضع هذا الاتهام على ألسنة فرنج الحملة فى مرات عديدة ، إلا أنه عبر عن رأيه الشخصى بتوجيه نفس الاتهام للإمبراطور مرة واحدة . ربما بتأثير الدعاية المضادة للإمبراطور التى انتشرت فى غرب أوربا آنذاك . وإذا كان فيتاليس لم يلتزم بالترتيب الزمنى للأحداث ورسم صورة موجزة عامة لأحداث الحملة جمع فيها كل الصليبيين فى حدث واحد ، فإن ذلك الإيجاز يرجع إلى أنه كتب تاريخ الحروب الصليبية بعامة وتاريخ حملة ١١٠١م بخاصة ، ليضمنها ما هو مشغول به أصلاً وهو تاريخ غرب أوربا من خلال تاريخ الكنيسة ، ورغم ذلك كانت روايته أشمل وأكثر تفصيلاً من روايات غيره من المؤرخين اللاتين المعاصرين الذين كرسوا أعمالهم لسرد تاريخ الحروب الصليبية . وفى النهاية يكفى أن نقول أن فيتاليس قد أضاف الكثير مما لم يرد عند غيره من المؤرخين ، ويكفى أنه قدم لنا موقفاً جديداً يختلف فى نواح كثيرة مع ما قدمه غيره من المؤرخين – وعلى رأسهم ألبرت دكس – وساعد هذا الموقف على إماطة اللثام عما اكتنفه الغموض من جوانب هذه الحملة وعلى الوقوف على الحقيقة التاريخية الكاملة. وعلى التعرف فى الوقت ذاته على مؤرخ نعرف جنسيته ووظيفته واسمه ، فى الوقت الذى بقى فيه منافسه ألبرت دكس فى غالبية هذه الأمور– مجهولاً.

بيان المختصرات

AB	Analecta Bolandiana.
AHR	American Historical Review.
APC	Autour de al premiere croisade acrtes du colloque de la society for the study of the crusades and the latin east (cleermont – ferrand 22 – 25 Juin 1995), reunis par Michel balard (paris, 1996).
ARAHA	Annual reports of the American Hisdtroical Association.
B	Byzantion.
BJRL	Bulletin of John Rynalds Library.
CJ	From Clermont to Jerusalem, the crusaders and crusader societies 1095 – 1500 (Selected proceedings of the International Medieval Congress, University of Leeds 10-13 July 1995. Ed by Alan V. Murray (Turnhout, Brepols, 1998).
CS	Crusades and Settlement. Papers read at the First Conference of the Society for the Study of the Crusades and the Latin East presented to R.C. Smial, ed. By P.W. Edbury (Cardiff, 1985).
FC	The first crusade. The Chronicle of Fulcher of Charters and other source materials, ed. By Edward Peters, 2nd edition (Philadelphia, 1998).
HB	Historical Bulletin.
JEH	Journal of Ecclesiastical History.
JMH	Journal of Medieval Histoory.

JRAS	Journal of Royal Asiatic Society.
MGHss	Monumenta Germaniae Historica Scriptores.
RHC-Occ	Recueil des historiens de Croisades, ed. Academie des. Inscriptions et Belles –Lettres (Paris, 1841 – 1906). Arm. Documents Armeniens, 2 Vols (1869 – 1906). Occ. Historiens Occidentaux, 5 Vols . (1844 –95).
ROL	Revue de L'Orient Latin.
RQH	Revue des Questions Historiques.
RS	Rols Series: Rerum Britannicarum Medi Aevi Scriptores (London, 1858 – 96).
SE	Sacris Erudiri.
Setton	A History of the Crusades, 6 Vols. (1958 –1986).
SM	Studia Medivalia.
Speculum	Speculum

الهوامـــش

١-رحل كل من روبرت كونت القلانـدر ، وروبـرت النورمـاندى ، وبولدويـن دى بـورج، ريمونـد كونت تولوز إلى الشمال ،حيث توجه الروبرتران إلى غرب أوربا عـن طريـق القسطنطينية ، ولم يتبق فى فلسطين سوى جودفرى وتنكريد : انظر:

Fulcher of chartres, gesta francorum iherusalem , trans. By frances rita tayan as A History of the Expedition to Jerusalem (Tennessee, 19690, p. 149.

٢- Fulcher of Charters, p, 164; guibert of Nogent, gesta dei per Francos, trans, byf Robert Levine as the deeds of god through the franks (Woodbridge, great britain, 1997), P. 147.

٣- Pope Paschall 11, Pope Paschall 11 Letter to the Clergy in Gaul (1099), in Fc, P. 297. CF. Also , James lea cate, a Gay crusader, in B, XVI (1934), P. 509 – 510.

٤-إبكهارد راهب دير أورا **orach** المدينة التى تقع على نهر مان **Main** الأعلى بألمانيا . جـاء إلى الشرق فى عام ١١٠١م واستغل فرصة وجوده فى الحصول على ما يمكنه جمعه من معلومات عـن الحملة الصليبية الأولى من شهود العيان ومن كتاب صغير عـثر عليـه فـى بيـت المقدس بعنـوان **libellus** عن تاريخ هذه الحملة . وعند عودته إلى موطنه وضع خلاصة ما جمعه من معلومـات فى كتاب عن الحملة أطلـق عليـه اسم بيـت المقدس . والكتـاب منشـور فـى مجموعـة مؤرخـى الحروب الصليبية الغربيين انظر:

Oliver Tacher, Critical work on the sources of the first crusade, in ARAH, Vol. 1 (1900), P. 503.

راجع أيضا : بطرس توديبود : تـاريخ الرحلـة إلى بيـت المقدس ، ترجمـة حسـين عطيـة، الطبعـة الأولى، الإسكندرية ١٩٩٢، ص ٢٠.

٥- Alec Mulinder, Albert of Achen and the Crusade of 1101 in Cj, P. 70.

٦- Games Lea Cate, The crusade of 1101, in Setton, Vol. 1. P. 343, n.1.

٧- Anna Comnena, the Alexiad" , trans. By E.R.A. Sweter (London, 1960), P. 355 – 357.

٨-ابـن الأثيـر : الكامـل فى التـاريخ، جـ ١٢، القـاهرة (المطبعة الأزهرية) ١٣٠١هـ، جـ ١٠،

ص ١٢٤، راجع أيضا:

Mathew of Edsa, Chronicle, in RHC. Doc, Arm. Vol. 1, PP. 56-59; Anonymous Syriac Chronicle, ed. By A.S. Tritton in JRAS (London, 1933), P.74.

حيث لم يكتب أى منهم ما يبلغ صفحة واحدة عن هذه الحملة سوى متى الرهاوى.

٩- لا نعرف على وجه التحديد الاسم الكامل لهذا المؤرخ ، ومكان مولده . وكل ما عرف عنه أنه كان أمينا لخزانة مدينة آخن Aix وأنه عاش فيما بين عامى ١١١٩، ١١٥٠م ، وهى الفترة التى من المحتمل أن يكون قد وضع فيها تاريخه (١١٢٥م) ويتميز كتابه بالمعلومات الوفيرة عن الصليبيين فى الشرق . انظر : جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين فى الحرب الصليبية الأولى ، الإسكندرية ١٩٦٧م، ص ١٥، ١٦. راجع أيضا:

Claud Cahen, La Syrie du Norda l'Epoque des Croisades et al principaute franque d'Antioche (paris, 1940), P.12.

١٠- أوردريك فيتاليس من المؤرخين الأنجلونورمان ، فمع أنه عاش فى نورماندیا إلا أنه ولد فى انجلترا فى عام ١٠٧٥م لأب نورماندى وأم انجليزية . جاء ابوه إلى انجلترا فما بين عامى ١٠٦٦م ، ١٠٦٨م . ولد فيتاليس فى عام ١٠٧٥م . وفى سن الخامسة درس فى كنسية شروسيرى Shrewsbury وفى العاشرة أرسله أبوه إلى نورماندیا حيث أصبح راهبا فى دير القديس إفرول st. Evroul وأثر ارتباطه بإنجلترا على كتاباته التاريخية لارتباط إنجلترا بنورماندیا (موطن النورمان الأصلى ثقافيا وسياسيا فى عصره . وتأثر بالمؤرخين الإنجليز ومات فيتاليس فى عام ١١٤٣م. انظر:

Antonia Gransden, Historical Witing in England C. 550 to c. 1307, 2 Vols. (London, 1974), vol.!, pp. 151 – 165.

١١- Albert d'Aix Hiostoria Hierosolymitana, RHC Occ., Vol. 4, P. 559 – 585.

١٢- Alec Mulinder, Albert of Aachen and the Crusade of 1011, in C J.PP 69–75; Susam B. Edington, Albert of Aachen Reappraised, in CJ, PP. 55 – 67.

١٣- وضع فيتاليس كتابه "تاريخ الكنيسة" Historia Ecclesitastica روجر لى ساب Roger of le Sap أسقف دير القديس إفرول (١٠٩١ -١١٢٧م) ويتكون الكتاب من ثلاثة عشر فصلا تغطى الفترة من ١ -١١٤١م. ووضعه فيما بين عامى ١١١٤و ١١٤١م . وهو يعالج من خلاله تاريخ غرب أوربا من خلال عرضه لتاريخ الكنيسة الغربية . وقد نقل عن أكثر من

خمسين مصدراً تاريخاً . أما روايتــه عـن الحملـة الصليبيـة الأولى فتـد سـجلها مـن الروايـات الشفهية لمن عاد من الفرنج إلى غرب أوربا . وقد كرس الفصل العشرين وجزءاً من الفصل التـالى له لسرد تاريخ حملة ١١٠١م انظر:

Orderic Vitalis, Historia Ecclesiastia, ed, and trans. By Marjorie Chibnal, 6 Vols. (Oxford, 1969- 80), Vol. 5, PP. 323 –347.

١٤- مثالا على ذلك ان فيتاليس كان المؤرخ اللاتينى الوحيـد الـذى نفـى تهمـة الخيانـة عـن القـائد البيزنطى تاتيكيوس حين توجه إلى بيزنطه لجلب مساعدات للفرنج حين تفشت المجاعـة فـى المعسكر الصليبى ووصول الأنباء باقتراب كربوغا حاكم الموصل مع مجموعة غفـيرة مـن العـراق والجزيرة للقضاء على فرنج الحملة الأولى عند أنطاكية . هذا بينما اتهم كل المؤرخـين اللاتـين تاتيكيوس بالخيانة انظر:

Orderic Vitalis, Historia, Vol. %, P.77.

راجع أيضاً : حسين عطية: إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، الإسكندرية ١٩٨٩،ص ١١٦.

١٥- Susan Edgington, Op. cit ., P. 56.

١٦- Albert d' Aix, P. 559; Guibert of Nogent, P. 147, Fulcher of chartres, p. 164.

١٧- Pope Paschall 11, Letter, P. 297.

١٨- Orderic Vitalis, Historia, PP. 322 –323.

١٩- James Lea Cate, The Crusade, P. 345.

٢٠- Orderic Vitalis, Historia, PP. 322 –323; Radulf of Caen, Gesta Tancredi, RHC. Occ., Vol . 3, P. 606.

قدم الدكتور سعيد عاشور أشمل دراسة عن الدوافع التى حركت الغرب الأوربى بكل فئاته للمشاركة فى الحروب الصليبية . انظر: سعيد عاشور : الحركة الصليبية صفحـة مشـرقة فـى تـاريخ الجـهاد العربى فى العصور الوسطى (الطبعة الثالثة)، القاهرة ١٩٦٧م. ص ٢٨ -٤٢.

٢١- اقتصرت رواية فولشر على ذكر سبب هزيمة الفرنج فى آسيا الصغرى ثم وصـول دوق بواتييـه إلى أنطاكية ، بينما يخبرنا جبيرت دى نوجنت أنه لن يذكر شيئا عن الجيوش الصليبية سوى جيش ستيفن كونت بلوا لأنه ليس لديه شـىء يرويـه عـن بقيـة الفرنـج وكـرس روايتـه بكـل جوانبها – رغم إيجازه الشـديد- لتوجيـة الاتـهام بالخيانـة إلى الإمـبراطور البـيزنطى بينمـا كرست آن كومنين روايتها القصيرة لذكر الأحداث التـى تـبرىء بـها سـاحة والدهـا مـن هـذه

التهمة. أما رواية متى الرهاوى فاقتصرت على ذكر سوء معاملة دوق بواتييه للإمبراطور البيزنطى ، بينما أورد ابن الثير رواية موجزه أهم عناصرها هو تحديده لأعداد الفرنج المشاركين فى الحملة : انظر ما سبق حوامش رقم (٧)، (٨) راجع أيضا :

Fulcher of Chartres, PP. 165 – 166.

James Lea Cate, The Crusade of 1101, P. 352. -٢٢

"Consobrini et affines eorum strenuitiatis exmplo ad simile -٢٣ opus excitati sunt".

Orderic Vitalis, , Historia, PP. 322-323. انظر :

٢٤- عن الجيوش الصليبية التى شاركت فى حملة ١١٠١م وقياداتها . انظر: ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ترجمة السيد الباز العرينى ، بيروت ، ١٩٦٧ -١٩٦٩م، جـ ٢، ص ٣٨، ٤٠ -٤١ ، ٤٨ -٤٩ راجع أيضا :

James Lea Cate, The Crusade of 1101, PP. 341 -350;

راجع أيضا : سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٣٣٧ -٣٣٧.

٢٥- لم يذكر فيتاليس من اللمبارديين سوى ألبرت بياندرات وأتسلم أسقف ميلان – دون ذكر اسمه – ولم يذكر أحدا من القادة الألمان . انظر:

Ordric Vitalis,. PP. 322 -327; Landulf of San Paulo, Historia Mediolanensis, in MGh. SS. Vol . 20, P22; Caffaro de Cashifelone, de Liberatione Civivtatum Orientis Liber, RHC. Occ., Vol . 5, P.58. Cf. Also , P. Riant, Un Premier Triomphe d'Urbain 11, In RQH, Vol., 34 (1883), PP. 247ff.

٢٦- ذكر فيتاليس من هؤلاء كلاً من وليم التاسع دوق بواتييه (دوق أكوتين)، وستيفن كونت بلوا وشارتر ، وأودو آربين Odo Arpin فيكونت بورجية Bourges ومايلز براى Miles Bray فيكونت تروى Troyes.

انظر : Orderic Vitalis, Historia, PP. 322 – 327.

٢٧- عن هروب كونت بلوا من حصار أنطاكية ، انظر:

James Brundage, an errant crusader: Satephen of Blois, in Traditio, Vol XVI (1959), P. 395; A.C.Krey, Urban's Crusade Success or Failure, in AHR, Vol . 53 (1974), P. 288.

Orderic Viotalis, Historia, PP. 324 -325. -٢٨

٢٩- كان جوسلين كورتيناى هو ابن عم بولدوين الثانى ملك بيت المقدس ، والذى سيصبح (جوسلين) كونتا للرها بعد تولى بولدوين الثانى حكم مملكة بيت المقدس فى عام ١١١٨م. انظر شجرة الأنساب فى :

A. Fliche, Le regnede Philippe Ier, Roi de France (paris, 1912). P. 351, n. 2.

أما أودو كونت بورجية فقد كان زوجا للكونتيسة **Mahaut** إبنة جليو **gelio** كونت سولى **Sully** وكانت شقيقة أودو زوجة للإبن الأكبر لستيفن كونت بلوا . ولم يرزق أودو وزجته بأطفال يرثون أملاكهما . لذلك قرر الزوجان الاشتراك فى الحملة الى بيت المقدس للإيفاء بنذرهما الصليبى، وباع أودو كونتيته لفيليب ملك فرنسا فى عام ١١١٠ - ١١٠١م بحوالى ستين ألف صولدى انظر:

Orderic Vitalis, Historia, Vol. 3, p. 116, Vol. 5, P. 368 Cf. Also , M. Pron, Recueil des actes de philippe I (Paris, 1908), P. 368; H. Hilberry. La Chartie sur loire Priory Church., in Speculum, Vol.30 (1955). P.14; Chirstopher, Gardner, the Capetian presence in Berry as a consequence of the firs crusade, in ApC, PP 75 -76.

٣٠- Albert d' Aix, P. 579.

٣١- Albert d' Aix, P. 560 - 563.

٣٢- Albert d' Aix, P. 579 -580; Ekkehard, pp. 226 -232; William of Malmesbury, Gesta Regun Anglorum, 2 Vols., ed. William Stubbs, in RS (London, 1889), Vol. 2, P.447.

٣٣- Albert d'Aix, P.563; Anna Comnena,P.396;Ekkehard P.227.

Cf. Also, H.Hagenmeyer, Chronologie de L'histoire du royaume de Jerusalem, in ROL, Vol. 9 (1902), P. 437.

٣٤- EKKehard, P. 227.

٣٥- ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤١.

٣٦- James Lea Cate, The Crusade of 1101, P. 354.

٣٧- تمثلت هذه المخاطر كما أوردها فيتاليس - على لسان الفرنج - فى الخلافات بين بوهيمند والإمبراطور البيزنطى ، وعدم خصوبة الأراضى فى آسيا الصغرى وهجمات السلاجقة انظر:

Vitalis, Historia, PP. 328 -329.

٣٨- وهى الحرية المقدسة التى أدعى المؤرخ رموناجيل أن الفرنج وجدوها فى كنسية أنطاكية

ومنحت الفرنج روحا جديدة للتصدى لقوات كربوغا حاكم الموصل الذى حاصر الفرنج داخل أنطاكية . ويقال أن ريموند كونت تولوز حملها معه إلى القسطنطينية أنظر: ريموندأجيل: تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ترجمة حسين عطية،الإسكندرية ١٩٨٩، ص ١٤٦. راجع أيضا:

Steven Runciman, The Holy Lance Found at Antioch, in AB, Vol. Lxvii, PP. 205f; Antony F. Czajkowski, The siege of Antioche in the first crusade, in HB, Vol. 26 (1948). P. 83.

٣٩- فيرجيل هو دليل دانتى فى الكوميديا الإلهية . وفى بداية العصور الوسطى كان فيرجيل يعتبر مفكرا عميق الفكر ، وفى القرن الحادى شعر اكتسب شهرة كبيرة كنبى وهو - هنا - يعتبر دليلا ومستشارا كما لو كان مضربا للأمثال تقريبا، وذلك قبل عصر دانتى بأكثر من قرن ونصف القرن. انظر :

Dominico Comparetti, Vergil in the Middle Ages, trans, F.F.M. Benecke (London, 1967) Pp. 108 –111, 310.

٤٠- Vitalis Historia, PP. 328 – 329.

٤١- Vitalis Historia, PP. 329 – 331.

٤٢- Vitalis Historia, PP. 331 – 333.

٤٣- Vitalis Historia, PP. 333 – 335.

٤٤- فى عام ١٠٩٤م مات وليم الرابع كونت تولوز ، وترك إبنه وحيدة هى فيليبا التى مات زوجها فى نفس العام . فتزوجت من وليم التاسع دوق بواتييه وأكوتين الذى أصبح من حقه الدفاع عن حقوق زوجته ضد عمها ريموند كونت سانخيل الذى استولى على الحكم فى تولوز رغم أحقية ابنة أخيه فى ذلك ، ولما خرج كونت تولوز فى الحملة الصليبية الأولى ، استولى وليم التاسع على تولوز وحكم فيها ، باسم زوجته حتى ١١٠٠م حين تولى برتراند ابن ريموند الحكم فى تولوز حين استعد وليم التاسع للخروج فى حملة ١١٠١م الصليبية ليكتسب رضا البابوية حتى يثبت أركان حكمه فى تولوز وبقى النزاع بين الطرفين انظر:

James Cate, A Gay Crusader, PP. 506 –515.

٤٥- كان وليم التاسع يعتبر من أوائل شعراء التروبادور فى غرب أوربا. وقد وضع عدة قصائد اشتهر بها، ولم يخف كل من فيتاليس ووليم ما لمسبرى إعجابه به كشاعر ومحارب أيضا أنظر:

William Of Malmesbury, Gesta Regum Anglorum,Vol. 2, P. 510,Cf,also, James les Cate, The Crusade of 1101, PP.524 –526.

وعن شعراء التروبادور ودورهم فى الأدب الشعبى الأوربى ، انظر : سعيد عاشور، أوربا العصور الوسطى ، جـ ٢ ، النظم والحضارة ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٣م، ص ٢٥٠ -٢٥١.

٤٦- Abert d'Aix, PP. 563 –564; Anna Comena, PP. 355 –356.

٤٧- Abert d'Aix, P. 564.

٤٨- Abert d'Aix, PP. 564 –567.

٤٩- Abert d'Aix, pp. 573 –574. Anna Cmnena, P. 357.

٥٠- Anna Comnena, PP. 355 –357.

٥١- Guibert of Nogent, PP. 147 –148; Anna Comnena, P. 356; Matthew o Edessa, Chronicle, PP. 56 –59.

راجع أيضا: ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، جـ ١٠ ، ص ١٢٤.

٥٢- Vitalis , Historia, PP. 334 – 335.

٥٣- H.Hagenmeyer, Chronologie, p.437.

٥٤- حددت آن كومنين مكان المعركة بين نهر هاليس وأماسية دون أن تذكر مرسيفان انظر:

Albert d'Aix . pp. 564 – 567; Anna Comnena, P. 356.

٥٥- James Lea Cate, The Crusade of 1101, P. 355.

٥٦- Anna Comnena, P. 356.

٥٧- حدد هاجنمير ٥ أغسطس ١١٠١ تاريخا لمعركة مرسيفان انظر:

H.Hagenmeyer, Chronologie, P. 589.

٥٨- Albert d'Aix, PP. 573 –574

وتحدد آن كومنين يوم الاثنين كموعد لدحر الصليبيين على أيدى السلاجقة . إلا أنها تجعل المعركة تستمر لمدة ثمانية أيام ، أى تستمر حتى يوم الأربعاء ، حين هرب قادة الفرنج وانفرد السلاجقة بمن تبقى فى المعسكر الصليبى من بقية الفرسان والمشاة وغير المحاربين انظر:

Anna Comnena, PP. 356 –257.

٥٩- "ولخمسة أيام قاتلوا ببسالة باسم الرب":

"et per quinque dies in nomine Domini uriliter pugnauerunt"

انظر : Vitalis, Historia, P. 336.

٦٠- Vitalis Historia, pp. 336 –339.

٦١- وتوحى رواية آن كومنين بأن بقية القادة من الفرنج هم الذين بدأوا بالفرار من ميدان القتال،

حيث سألوا كونت تولوز والقائد البيزنطى تسيتاسى عن مكان أقرب المعاقل البيزنطية ، حتى يتسنى لهم الوصول إليها إذا ما تمكنوا من الفرار. انظر:

Vitalis, Historia, PP.338–339; Albert d'Aix,P.570, Anna Comnena, P.357.

٦٢- يذكره البرت دكس بين قادة الفرنج الذين وصلوا مع كونت بلوا إلى ميناء السويدية على سفن الإمبراطور البيزنطى ، مثل كونت برجنديا ،والكند سطبل كونراد . ثم بقى دوق بياندرات مع بولدين وشاركه فى قتال الفواطم فى دوقعة الرملة الثانية فى عام ١١٠٢م انظر:

Albert d' Aix, PP. 569, 582, 591, 603.

٦٣- Vitalis, Historia, PP.338–339; Albert d'Aix, PP. 582 – 583.

٦٤- Vitalis, Historia PP. 340-341, Albert d' Aix, P. 583.

٦٥- Vitalis, Historia PP. 342-347.

٦٦- يقدم لنا فيتاليس رواية مسهبة عن فك أسر دوق بورجية حيث بقى فى سجن الفواطم بالقاهرة لفترة ، ثم استغل زيارة بعض التجار البيزنطيين لأسرى الفرنج فى مصر ، وكلفهم بأن يطلبوا من الإمبراطور ألكسيس التدخل لدى حكام مصر لفك أسره ، وبالفعل استجاب الإمبراطور لتوسلات آربين وبعث إلى الوزير الأفضل مهدداً إياه باعتقال التجار والوكلاء المصريين فى أنحاء الإمبراطورية البيزنطية ، إن لم يفك أسر آربين وتم فك اسر الدوق الذى وصل إلى القسطنطينية ليقدم الشكر للإمبراطور . ثم عاد آربين إلى أوربا حيث قابل البابا باسكال الثانى وترهب على يديه ، ثم توجه إلى دوقيته، وبعد فترة التحق بدير كلونى راهباً بقية حياته . انظر:

Vitalis, Historia, pp. 350 – 353; Albert d'Aix, PP. 595, 649; Guibert of Nogent, P. 149.

٦٧- Albert d' Aix , PP. 591 –594; Guibert of Nogent, P149 ; Fulcher of Chartres, PP. 167 – 169.

٦٨- Vitalis, Historia, pp. 344 – 345; Albert d' Aix , PP. 591– 594; Flucher of Chartres,; PP. 169 – 170.

٦٩- تتفق رواية فولشر الشارترى مع رواية ألبرت دكس ، فلم يذكر فولشر الملازم لبولدوين،رواية الأعرابى التى ذكرها ألبرت دكس ، لكنه يذهب إلى أن الملك لم يرغب فى أن يموت ذليلاً فى الرملة واستشار رفاته وهرب مع خمسة من رجاله انظر:

Vitalis, Historia, PP. 344 – 347, Albert d'Aix, PP. 593 – 594; Fulcher of Chartres, PP. 169 – 170.

٧٠- مثال ذلك أن ألبرت دكس كثيراً ما كان يحدد عدد من ينفصل عن الجيش الصليبى أثناء الرحلة

فى آسيا الصغرى بحثا عن الطعام والكلأ بالأرقام ٢٠٠ ومـن يحرسـون مقدمـة أو مؤخـرة الجيـش الصليبى بحوالى ٧٠٠ فارس . أنظر:

Alec Mulinder, Albert of Aachen and the Crusade of 1101, P.71, 73, 76.

James Lea Cate, The Crusade of 1101, P. 367. -٧١

Vitalis, Historia, PP. 324 –325. -٧٢

Vitalis, Historia, PP. 326 –327. -٧٣

Vitalis, Historia, PP. 326 –327. -٧٤

Vitalis, Historia, PP. 326 . -٧٥

James Lea Cate, The Crusade of 1101, P. 355, no.20. -٧٦

-٧٧ "Pene Quadringenta milia Christianorum Carporaliter interierunt, spiritualiter autem in aeterna requie uiuant cum Christo in quo mortui Sunt".

انظر : Vitalis, Historia, PP. 324 –325.

٧٨- انظر ما سبق ص ١٧.

Vitalis, Historia, PP. 338 –339. -٧٩

James Lea Cate, The Crusade of 1101. P. 365. -٨٠

Vitalis, Historia, PP. 334 –335. -٨١

Albert d'Aix, P. 563. -٨٢

Vitalis, Historia, PP. 340 –341. -٨٣

Albert d'Aix, P. 573; Anna Comnena, P. 357. -٨٤

Albert D'Aix, P. 573. -٨٥

٨٦-رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٥٣ – ٥٤. راجع أيضا:

James Lea Cate, A Gay Crusader, P. 520.

-٨٧ James Brundage, Prostitution, Miscegenation and Sexual Purity in the first Crusade, in CS, P. 58.

٨٨- يـذكر ألبـرت دكس أن الفرنـج حين اجتاحوا البلدة المسيحية قبل موقعة مرسيفان ، إجتثوا

ثدى امرأة مسيحية كانت تدافع عن منزلها فى محاولة منها لتحول بينهم وبين نهبه انظر:
Albert d' Aix, P. 560.

٨٩- James Lea Cate, the Crusade of 1101, P. 366.

٩٠- Albertd'Aix, P. 559.

٩١- Albertd'Aix, P. 767.

٩٢- Albertd'Aix, P. 574.

٩٣- James Lea Cate, The Crusade of 1101, P. 366.

٩٤- Guibert of Nogent, P. 147.

٩٥- Gubert of Nogent, P. 148

٩٦- وليم الصورى، الحروب الصليبية، ٤ أجزاء، ترجمة حسن حبشى، جـ ٢، القاهرة ١٩٩٢م، ص ٢١٤ -٢١٥.

٩٧- Vitalis, Historia, PP. 326 -327.

٩٨- Vitalis, Historia, PP. 327 -329.

٩٩- Vitalis, Historia, PP. 328 -329.

١٠٠- Vitalis, Historia, PP. 330 -331.

١٠١- Vitalis, Historia, PP. 332 -333.

١٠٢- Vitalis, Historia, P.333.

١٠٣- انظر ما سبق ، ص ٣ ، وهامش رقم ١٤.

١٠٤- Vitalis, Historia, PP. 334 -335.

١٠٥- البيزنط : هو الاسم الذى منح فى غرب أوربا للنوميسما البيزنطية الذهبية . ووجد هذا الاسم فى وثائق القرنين ١٠ -١٣م . أما العملة نفسها فقد عرفها التجار باسم **Hyperpyra** منذ القرن الحادى عشر الميلادى. والنوميسما **Nomisma** اسم يعنى بصفة عامة العملة لكنه استخدم كمقياس للعملة الذهبية (٢٤ قيراطا) ، التى كانت العملة الأساسية لبيزنطية والتى كان يطلق عليها فى غرب أوربا الصولدى **Solidus**.

التارتارون: وهو اسم عملتين متميزتين عن بعضهما وهما نوميسما ذهبية خفيفة الوزن ضربت فى بيزنطة فيما بين ٩٦٥ -١٠٩٢م . وعملة صغيرة نحاسية (كانت من الرصاص فى البداية) ظهرت

فى عام ١٠٩٢م وبقيت تضرب حتى القرن ١٣م.

وقد حملت هذه العملات الذهبية اسمها بواسطة الإمبراطور نقفور فوكاس، وكان معيارها ٤/١ معيار النوميسما . ثم أصبح وزنها منذ القرن ١١م ٣,٩٨ جراما. وأصبح اسم العملة الجديدة Hestamenon. وتم تقليص طول قطرها من ٢٠ مليمتر (وهو طول قطر النومسيما) إلى ١٨ مليمتر.

ومن المعروف أن اللاتين هم الذين أطلقوا على النومسيما البيزنطية اسم بيزنط Bezant نسبة إلى بيزنطة . وكان البيزنط مساويا للدينار الإسلامى – الذى ضرب فى عهد الخليفة عبد الملك بن مراون فى عام ٧٤ – ٧٥ هـ – فى وزنه (٤,٤٥جراما ذهبا- ٦٦ حبة) ومن الصعب تقدير قيمة الصولدى الأوربى نظرا لاختلاف وزنه باختلاف الزمان والمكان حتى القرن ١٦م.

انظر: Alexander P. Kazhdan (ed.) the Oxford Dictionary of Byzantium 2 Vols. (Oxford, 1991), PP. 287, 1490, 2023 –2026, R. Lopez, The Dollar of the Middle Ages, in JEH, Vol Xi (1951) pp. 211–213 .

ويقدم الأستاذ الدكتور حسنين ربيع أشمل دراسة عن العملات الإسلامية فى مصر منذ عهد الطولونيين وحتى العهد المملوكى . انظر :

H. Rabie, The Financial System of Egypt, A.H. 564 –741 (London, 1972), PP. 162 –197.

١٠٦- Vitalis, Historia, PP. 334 –335.

١٠٧- Vitalis, Historia, PP. 338 –339.

١٠٨- Vitalis, Historia, PP. 334 –335.

١٠٩- Albert d' Aix, PP. 563 .

١١٠- قدم الدكتور جوزيف نسيم يوسف دراسة وافية ودقيقة للسياسة التى اتبعها الإمبراطور ألكسيس كومنين حيال الجيوش الصليبية ، منذ قدوم فرنج الحملة الأولى إلى بلاده . والأساليب التى اتبعها الإمبراطور لتنفيذ سياسته وهى دراسة تعتمد على ما ورد فى المصادر المعاصرة . انظر: جوزيف نسيم يوسف العرب والروم واللاتين ، ص ١١١ – ١٤٠.

١١١- ستيفن ونسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٩٦ – ٩٧.

١١٢- بدأ ألبرت دكس فى تأليف كتابه فى عام ١١٢٥م . بينما وضع جيبرت النوجنتى كتابه فيما بين عامى ١١٠٦م و ١١٠٩م . أما فولشر الشارترى فيبدو أنه بدأ فى الكتابة بعد استقراره

مع بولودوين الأول فى بيت المقدس بدءا من عام ١١٠٠م . أما إيكهارد فلم يبدأ فى الكتابة إلا بعد عودته إلى موطنه ألمانيا . ومن المعروف أن الأميرة آن كومنين قد دونت كتابها الألكسياد بعد أن حبسها أخوها الإمبراطور حنا كومنين فى أحد الأديرة بعد موت أبيها الإمبراطور ألكسيس فى عام ١١١٨م. أما وليم الصورى ، فمن المعروف أنه كتب تاريخه فى عهد الملك الصليبى عمورى الأول (١١٦٣ – ١١٧٤)م . انظر:

Cahen, La Syrie, P. 10. 10; Oliver Tactcher, Critical work, p. 502 –503; Harold Fink, Fulcher of Chartres Historian of the Latin Kingdom of Jerusalem, in SM, Vol. 5 (1975), PP. 53 –55; R.B.C. Huygens, Editing William of Tyre, in SE, Vol. 27 (1984), PP. 461 –473; M.D. Coup" the personality of Guibert de Nogent reconsidered, In JMH, Vol. IX (1983),

راجع أيضا الدراسة الشاملة لمصادر الحملة الصليبية الأولى ، انظر جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم ، ص ٧ وما بعدها.

١١٣- بعد هزيمة الفرنج فى موقعة حران ١١٠٤م سافر بوهيمند إلى أوربا وقابل البابا باسكال الثانى حيث اتهم أمامه الإمبراطور البيزنطى بعرقلة مسيرة الحملات الصليبية . انظر:

J.G. Row, Paschall II, Bohemond of Antioch and the Byzantine Empire, in BJRL, Vol. XLIX (1960), PP 165ff.

١١٤- كان ذلك على يد مناسيس الأسقف الذى بعث به بولدوين الأول ملك بيت المقدس مستفسراً عن موقف ألكسيس من الحركة الصليبية . وبناء على طلب الإمبراطور توجه مناسيس إلى إيطاليا ليشرح موقف الإمبراطور إلا أن الرجل انحاز إلى الجانب اللاتينى وآثار البابا على من ألكسيس.

انظر : ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ٢، ص ٦ ١-٦٢.

١١٥- وليم الصورى : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٢١٥.

١١٦- James Lea Cate, The Crusade of 1101, P. 367.